ليون تروتسكي



دروس ثورة اكتوبر

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

توزيع
مؤسسة نوفل
للطباعة والنشر
شارع سوريا - بناية سمدي وصالحة
تلفون ٢٥٣٣٠٢ - ص.ب ٦٥٦
بيروت - لبنان

دروس ثورة اكتوبر

ليون تروتسكي

دروس ثورة أكتوبر

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت

حقوق الترجمة والطبع محفوظة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

ص.ب ٥٤٦٠ - بيروت - لبنان

ــ هــذا الكتــاب ــ

كتب كتاب تروتسكي : « دروس اوكتوبر » خــلال صيف ١٩٢٤ ، ونشر في شهر أوكتوبر كبديــل لمقدمة الجــزء الاول من مؤلفاته الكاملة .

ان هذا الكتاب ، كما سنرى من الصفحة الاولى ، بنـــاء شخصي للحوادث التي سبقت الثورة الروسية ورافقتها في أثناء الفترة الممتدة من فيفري ــ شباط الى اوكتوبر (تشرين الاول) . وهذا هو الذي يجعلنا اليوم نفهم ، بصعوبة ، السبب الذي جعل هذا الكتاب يثير ما أثار مــن جدل وما لقي مــن معارضة أبان صدوره . فقد كان مركز نقاش سياسي فــي الاتحاد السوفياتي امتد لعدة شهور . فكون المؤلف عاد في هذا الكتاب « دروس اوكتوبر » الى الكــلام حــول بعض المواضيع « الحساسة » ، خاصة ، باعادته الى الاذهان موقف زينوفياف وكاميناف عشية ثورة أوكتوبر ، لا يكفي بالتأكيد ، لتفسير لماذا احدث ذلك الاهتمام ، ولماذا اثار ذلك الجدل .

على ان الامر الاول الذي يجب اخذه بعين الاعتبار هو ان شخصية المؤلف ، بعد وفاة لينين في جانفي (كانون الثاني) ١٩٢٤ ، كانت ، بدون أدنى شك الشخصية الاكثر مهابة بين فريق القادة البلاشفة ، واسمه كــان يستحضر الى الذهن التجارب والصفحات الاكثر فخرا للثورة والحــرب الاهلية .

اما الامر الثاني فهو الاخذ بعين الاعتبار ما كانت تمثله شخصية تروتسكي في الفلك السياسي وفي الاوضاع التي كانت قائمة في تلك الفترة ، فقد كان يبدو ، بصورة خاصة ، كنقد ، وكمعارضة ، للفريق الحاكم الذي كان يمارس المراقبة الفعلية على الحزب وعلى الدولة .

ولاستكمال التفسير يلزم اعتبار عدة وقائع وعناصر اخرى :

فبين خريف ١٩٢٤ ، والشهور الاولى لسنة ١٩٢٥ ، كان تروتسكي قد نشر سلسلة مقالات جمعها بعد ذلك في كتاب سماه « تيار جديد » . والموضوع الرئيسي لهذه المقالات يكمن في استنكار العملية الجارية لتدوين Bureaucratisation الحزب ، والتي تتظهر آثارها في التعارض بين الجيل القديم « الحراس القدماء » وبين الاجيال الجديدة . فالحزب – حسب رأي تروتسكي – أخذ يفقد ، بشكل دائم ، الاتصال بالقوى الحية الاكثر ثورية في البلاد : وهي الشبيبة العمالية والطلابية . ويعبر عن هذه الظاهرة تركيبه الاجتماعي ، من خلال نمو الوظائفية Fonctionnarisme فيه .

ولكن ما هو المحتوى الدقيق لهذا التطور البيروقراطي ، وما هي بالضبط المشاكل والحاجات الجديدة التي لم يشعر بها « الحراس القدماء » ؟؟ . ان تروتسكي لم يوضح ذلك جيدا في كتابه « تيار جديد » ، فالاحتجاجات والبديهيات هنا تغلب على التحليل ، ومع ذلك فان قارئا منتبها ، وعلى علم بوقائع الوضع السوفياتي لسنتي ١٩٢٣ – ١٩٢٤ لا يعدم أن يجد بعض المواضيع التي ستصبح بعد ذلك عناصر لنظرة مترابطة ذات افق سياسي مكتمل ، يجدها هنا بالكاد مخططة ومستشفة . ولذلك خصص مكان واسع لموضوع التخطيط Planification حيث احتل فصلا كاملا من الكتاب ،

لان الامر يتعلق هنا بموضوع عزيز جدا على تروتسكي ، وقد تحدث عنه طويلا وبعاطفة في علاقته مع المؤتمر الثاني عشر للحزب . وهو الموضوع الذي يعكس تجربته الثورية في تنظيم الجيش الاحمر في أثناء فترة « شيوعية الحرب » ، خاصة ، التخطيط الاقتصادي منه ، وبشكل أخص ، تخطيط الصناعة الكبيرة التي استولت عليها الدولة حيث امكن بواسطة ذلك التخطيط التغلب على « ازمة المقص » المشهورة التي تمثلت في التباعد بين منتجي الانتاج الزراعي وبين منتجي الانتاج الصناعي . تلك الازمة التي كان تروتسكي أول من لفت انتباه الحزب اليها . وفي هذه النقطة اصطدم بقضية الفلاحين . ذلك ان سياسة تخطيطية تمثل الى حد ما رجوعا الى شيوعية الحزب ، لا بد ان تصطدم وتتعارض مع **السياسة الاقتصادية** الجديدة N.E.P. التي دشن عهدها لينين سنة ١٩٢١ .

ومع اقتصاديات السوق التي أعادتها السياسة الاقتصادية الجديدة ، تلك هي الاعتراضات — مع اعتراضات اخرى من نفس النوع — التي اثارتها مقالات تروتسكي . وقد أجاب هذا الاخير منكرا أن يكون لديه أي « سوء تقدير للفلاحين » مذكرا بأنه كان متفقا تماما مع لينين لتأييد ضرورة السياسة الاقتصادية الجديدة . الامر الذي لم يمنع خصومه من الالحاح على هذا الموضوع ما دامت بعض الصيغ والافكار الموجودة في كتابات تروتسكي تتيح لهذه الانتقادات ان يكون لها بعض الاساس . ولكن الفقرة التي تستوقف خصومه ويبطئون عندها الوقوف هي التي يؤكد فيها من جديد اخلاصه المستمر لنظرية الثورة الدائمة التي صاغها سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٦ بل ويضيف مؤكدا على ان نظرية الثورة الدائمة التي تعتبر بأن روسيا لا يمكن أن تقف عند المرحلة الديمقراطية البرجوازية من الثورة التي تعبر عنها صيغة « الديكتاتورية الديمقراطية

للعمال والفلاحين » وانما يجب أن تسير نحو تكوين « حكومة عمالية تستند الى الفلاحين ، وتفتح عهد الثورة الاشتراكية العالمية » . قلنا ان تلك النظرية تقود مباشرة الى اللينينية ، وخاصة الى موضوعات نيسان (افريل) ١٩١٧ . وتلك هي الفكرة الرئيسية التي نماها تروتسكي في كتابه « دروس اوكتوبر » . ومن ذلك كان « التيار الجديد » الذي بشر به يبدو وكأنه شكل من أشكال « الدفع » الثوري ، وضرب من العودة الى « اللينينية » الصحيحة التي جاءت في موضوعات نيسان ، سواء في الميدان الداخلي أو في العلاقة مع الحركة العمالية العالمية .

● ● ●

على ان نشر مقالات « تيار جديد » قد أثار جدلا حادا ابان عقد مجلس الحزب Conference الثالث عشر (١٦ — ١٨ كانون الثاني — يناير — ١٩٢٤) حيث قام ستالين بالذات بالهجوم على الافكار التي عرضها تروتسكي . على ان وفاة لينين بعد أيام قليلة من اختتام ذلك المجلس ، والاضطراب الذي أصاب الفريق القائد للحزب ، قطع مؤقتا ذلك الجدل . فطوال النصف الاول لعام ١٩٢٤ كان الشاغل الجوهري لممثلي الحزب الرئيسيين هو انقاذ وحدة الفريق القائد . وفي المؤتمر الثالث عشر (٢٣ — ٣١ أيار — مايو — ١٩٢٤) بدا ان خلافات المجلس الثالث عشر قد نسيت . وتروتسكي نفسه الذي لم يحضر أعمال المجلس المذكور تدخل في المؤتمر وطرح كلاما معتدلا ورفاقيا ، مطالبا بأن تكون المحافظة على وحدة الحزب هي الهدف الاول .

الا أن نشر « دروس اوكتوبر » قطعت الهدنة التي قامت

بعد وفاة لينين ، واشعلت مرة اخرى نار الجدل . وبالنسبة لقارىء ذلك الحين الذي لا يزال يستحضر تلك التجارب السياسية وذلك الجدل ، سوف تبدو له « الدروس » وكانها بيان Manifeste ذلك « الدفع » الثوري لهذا « التيار الجديد » الذي حركه تروتسكي . ان نواة هذا الكتاب الجديد تتكون من التعارض بين « اللينينية » الصحيحة و « الاتجاه البروليتاري » الذي « يدل على طريق الثورة العالمية » ويعرض على فريق قائد — ولكنه متردد — بين الاختيار الثوري لموضوعات نيسان — أفريل — وبين (منشفية) اولئك الذين ليست لهم ثقة في قدرة البروليتاريا الروسية على اخذ المبادرة في الثورة الاشتراكية العالمية . والرجوع الى التجربة الالمانية : اوكتوبر ١٩٢٣ (التي كانت الموضوع الرئيسي لنقاش المؤتمر الخامس الاممي : جويليه — تموز — ١٩٢٤) أعطى ذلك التعارض صفة الحاضر المعاش ، ألم تكن نفس الترددات ، ونفس انعدام الثقة التي كانت بين نيسان (أفريل) واكتوبر سنة ١٩١٧ والتي كادت — لولا تحريض لينين الثوري ، أن تؤدي بالحركة الثورية في روسيا الى الافلاس والشلل ومواقع الخطأ ، هي التي حددت فشل ثورة ألمانيا التي كانت حسب تقدير الاممية الشيوعية ممكنة جدا ؟ ثم اليست كذلك حجة اولئك الذين يجعلون دائما في المقدمة حالة تأخر روسيا الزراعية ، ظاهرة منشفية ، وقرينة على غياب ثقتهم في الامكانيات الثورية للبروليتاريا الروسية والعالمية ؟

تلك هي القضايا التي تثيرها « دروس » اكتوبر في ذهن القراء في ذلك الحين وهي تتضمن أيضا سلسلة اخرى من القضايا التي طرحت للنقاش في ذلك الوقت : مثل قضية « السياسة الاقتصادية الجديدة » والتخطيط أو « ديكتاتورية

الصناعة » وكفاءة الفريق القائد اذاك للحزب وللاممية الشيوعية في الاحساس والتعبير عن الضرورة الاكيدة لاندفاع ثوري جديد ، واخيرا قضية بيروقراطية الحزب . واذا كان كتاب تروتسكي هذا لم يواجه هذه المشكلات مباشرة واكتفى بالمرور عليها فان صلتها بالموضوع الرئيسي لا تظهر أقل وضوحا لاولئك الذين عاشوا التجربة السياسية لسنتي ١٩٢٣ — ١٩٢٤ . والذين ما زالوا يؤكدون الجدال الذي سببه قبل ذلك بسنة نشر برنامج الست والاربعين (٤٦) ومناقشات المجلس الثالث عشر للحزب .

يجب دراسة أوكتوبر

اذا كان لنا ثمة حظ في ثورة اكتوبر ، فان ثورة اكتوبر لم يكن لها نفس ذلك الحظ فيما نكتبه من أدبيات ، فنحن لا نملك مؤلفا واحدا يكون لوحة شاملة لثورة اكتوبر تبرز فيها الظروف الحاسمة في الميدانين السياسي والتنظيمي . وأكثر من ذلك ، فان الوثائق التي تتميز بمختلف نواحي التحضير للثورة أو للثورة نفسها لم تنشر بعد ، فنحن نصدر وثائق ومواد عن تاريخ الثورة والحزب قبل اكتوبر وبعده ، الا أننا نكرس عناية أقل بكثير لاكتوبر نفسه . ويتراءى لنا اننا ما دمنا قد قمنا بتوجيه الضربة القاصمة للخصم ، ولم نعد في حاجة الى اعادتها ، فان دراسة اكتوبر نفسه وشروط التحضير المباشر له لا نرى فيها فائدة مباشرة في ما يمكن ان نقوم به من مهام عاجلة للتنظيمات المقبلة .

ومع ذلك فان مثل هذا الاعتقاد ، ولو كان صادرا جزئيا عن غير وعي منا ، فانه ، في جوهره ، خطأ فادح ، بالاضافة الى كونه وجها من وجوه الانكماش القومي . واذا كنا نحن لسنا في حاجة الى اعادة اكتوبر فلا يعني ذلك ان تلك التجربة سوف تكف عن ان تعلمنا شيئا . خاصة اذا تذكرنا بأننا جزء من الاممية ، وان البروليتاريا في البلدان الاخرى لم تحل بعد مشكلة اكتوبرها . ومجرى السنوات الاخيرة أعطانا أدلة

مقتنعة على ان الاحزاب الشيوعية الاكثر تقدما في الغرب لم تهضم تجربتنا فحسب ، وانما أيضا لم تعرفها كما حصلت في الواقع .

على ان المرء يمكن ان يلاحظ بأن دراسة اكتوبر او حتى نشر المواد المتعلقة به ، ربما لا تكون ممكنة — وهذا حقيقي — دون ان توضع على بساط البحث ، مرة اخرى ، اختلافات وجهات النظر القديمة . الا ان طرح المسألة على هذا النحو يدل على قصر في النظر . اذ ان اختلافات سنة ١٩١٧ كانت عميقة جدا ، وبعيدة عن أن يكون مجيئها بمحض الصدفة . الا أنه من السخافة محاولة استعمال تلك الاختلافات سلاحا ضد اولئك الذين وقعوا في الخطأ . ولكن من غير المقبول أيضا أن يتم السكوت — مراعاة لامور شخصية — عن المشاكل الرئيسية لثورة اكتوبر ، ذات الاهمية الاممية .

لقد واجهنا في السنة الماضية هزيمتين ثقيلتي الوطأة في بلغاريا . أولا : لاسباب عقائدية ذات صيغة قدرية اهمل الحزب الشيوعي فرصة نادرة ومؤاتية للقيام بحركة ثورية (انتفاضة الفلاحين بعد انقلاب سان كوف في جوان — حزيران —) .. ثم ثانيا : عندما حاول اصلاح خطئه واندفع في عصيان سبتمبر — أيلول — دون أن يكون قد أعد المقدمات السياسية والتنظيمية ، الضرورية لانجاح ذلك العصيان . وكان يجب أن تكون الثورة البلغارية مقدمة للثورة الالمانية ولكن لسوء الطالع كان لهذه المقدمة المحزنة امتداد مفجع في المانيا نفسها . ففي النصف الثاني من العام الماضي رأينا في هذا البلد ظاهرة كلاسيكية تتكرر ، حيث ترك وضع ثوري ذو أهمية تاريخية ودولية يمر دون حراك . والتجربتان البلغارية والالمانية لم تحظيا بدراسة كاملة وعينية بشكل كاف . واذا كان مؤلف هذه الاسطر قد اعطى خطوطا عريضة لتطور

الاحداث الالمانية في العام الماضي (انظر كراس « الشرق والغرب » الفصل أ : المنعطف والمرحلة التي نمر بها) ، وكل ما جاء من التطورات اتى منسجما تماما مع تلك الخطوط . واذ لم يقم أحد بمحاولة اعطاء تفسير آخر فان خطوطا عريضة لا تكفي وحدها ، وانما تلزمنا لوحة كاملة تنير اسباب تلك الهزيمة الشديدة الوطأة ، تكون مرفقة بسجل واف للوقائع التي استندت عليها .

الا انه من الصعب التفكير في تحليل للاحداث التي جرت في بلغاريا والمانيا ونحن لم نعط بعد لوحة لسياسة ثورة اكتوبر وتكتيكها ، فنحن لا نعرف بعد بالضبط ما الذي عملنا وكيف عملناه . ويبدو ان الاحداث في أوروبا بعد اكتوبر قد تطورت بسرعة لم تترك لنا الوقت الكافي الذي يمكننا من استيعاب دروس اكتوبر من الوجهة النظرية . ولكن الذي ظهر للعيان انه بغياب حزب كفء للقيادة يكون من المستحيل انجاح انتفاضة البروليتاريا الهادفة للاستيلاء على السلطة . فالبروليتاريا لا تستطيع الاستيلاء على السلطة بواسطة مجرد عصيان عفوي ولو كان ذلك في بلد متقدم جدا صناعيا ، وذي مستوى ثقافي مرتفع كالمانيا ، فالعصيان العفوي الذي قام به العمال في هذا البلد (نوفمبر ١٩١٨) لم تكن له من نتيجة سوى وضع السلطة بين أيدي البرجوازية ، ذلك ان طبقة حائزة للثروة ، قادرة دوما على أن تستولي على السلطة المنزوعة من أيدي طبقة مالكة اخرى بالاستناد الى ثروتها و « ثقافتها » وعلاقاتها التي لا تحصى بجهاز الدولة القديم . أما بالنسبة للبروليتاريا فلا شيء يغنيها عن الحزب . واذا كانت الاحزاب الشيوعية لم تبدأ عهد تنظيمها الحقيقي الا منذ ١٩٢١ (« النضال لكسب الجماهير » ، « الجبهة المتحدة » ، الخ . .) وبالتالي كانت مهمات اكتوبر لا تزال بعيدة ، في

نفس الوقت الذي وضعت فيه دراسة تجربة اكتوبر في آخر بند لجدول الاعمال ، حتى اذا جاءت السنة الاخيرة وضعتنا وجها لوجه أمام مهمات الثورة البروليتارية . وهكذا حان الوقت لجمع الوثائق ونشر كل المواد والشروع في العمل الدراسي .

نحن نعرف ، وهذا أمر واضح ، ان كل شعب ، وكل طبقة وكل حزب يتعلم بصورة رئيسية من تجربته الخاصة . ولكن هذا لا يعني ان تجربة الشعوب والطبقات والاحزاب الاخرى ذات اهمية ضئيلة . فبدون دراستنا للثورة الفرنسية، وثورة ١٨٤٨ ، وكومونة باريس ، ما كان ليمكن لنا تحقيق ثورة أكتوبر ، حتى لو اكتفينا بتجربة ثورة ١٩٠٥ ، وذلك لان ثورة ١٩٠٥ خضناها بالاستناد الى تعاليم الثورات السابقة والسير في خطها التاريخي . وطوال عهد الثورة المضادة سد الفراغ ببحث دروس ثورة ١٩٠٥ . أما ثورة اكتوبر المظفرة فلم يعط لها من الدرس ما يوازي عشر ما اعطي لثورة ١٩٠٥ رغم اننا لا نعيش في عهد رجعي ولا في المهجر ، بل على العكس من ذلك نحن نملك الان من القدرة ومن الوسائل بما لا يمكن أن يقاس بما كان لدينا في تلك السنوات المرهقة . يجب أن توضع اليوم دراسة اكتوبر على راس جدول أعمال حزبنا وأعمال الاممية في آن واحد .

يجب على حزبنا كله ، وخاصة الشباب فيه ، دراسة تجربة اكتوبر دراسة دقيقة لإن هذه التجربة مكنتنا من التحقق من ماضينا ، وفتحت لنا بابا واسعا على المستقبل ، وان درس المانيا ليس فقط نداء جديا يدعونا ، وانما هو انذار لا يقدر .

ويمكن أن يقال ــ وهذا صحيح ــ ان المعرفة العميقة بتطور ثورة اكتوبر لا يشكل ضمانا لانتصار حزبنا في المانيا .

الا ان هذا التفكير لا يقود الى شيء . بالتأكيد ، دراسة ثورة اكتوبر وحدها لا تكفي لتجعلنا ننتصر في بلدان اخرى ، اذ يمكن أن توجد أوضاع تتوفر فيها كل مقومات الثورة عدا قيادة حزبية تملك الوضوح والحسم وتستند الى فهم قوانـين وأساليب الثورة ، كما وقع بالضبط بألمانيا في السنة الماضية . وهو ما يمكن تكرار حدوثه في بلدان اخرى . ومع ذلك فان دراسة قوانين وأساليب الثورة البروليتارية ليس لها حتى الان مصدر أهم من تجربة اكتوبر . فقادة الاحزاب الشيوعية الاوروبية الذين لا يدرسون دراسة نقدية تفاصيل تاريخ انقلاب اكتوبر يكونون كمثل ذلك القائد العسكري الذي يعد لحروب جديدة دون دراسة التجربة الاستراتيجية والتكتيكية والفنية للحرب الامبريالية الاخيرة . وقائد من هذا الطراز لا بد أن يـؤدي بجيوشه الى الهزيمة .

واذا سلمنا بأن الحـزب هـو الاداة الرئيسية للثـورة البروليتارية ، فان تجربتنا خلال عام (شباط ــ فيفري ١٩١٧ ــ شباط فيفري ١٩١٨) بالاضافة الى التجـارب المكملـة الاخرى في فنلنـدا وهنغاريا وايطاليـا وبلغاريا والمانيـا ، تسمح لنا بأن نعتبـر كقانون استحالة تجنب الحزب ازمـة داخلية عندما يأخذ في الانتقال من عملية الاعداد الثورية الى النضال المباشر من أجل السلطة . فالازمات في الحزب تظهر بصورة عامة كلما مر في منعطف هام كمقدمة أو كنتيجة لهـذا المنعطف . وسبب ذلك ان كل فترة من فترات نمو الحزب لها سماتها المميزة ، وتتطلب عـادات وأساليب معينة للعمل . فمنعطف تكتيكي مثلا يستلزم بترا هاما الى حد ما حسب كـل حالة لتلك العـادات والاساليب . وهنـا يكمن منبع تلـك الصعوبات والازمات . وقد كتب لينين في تموز ــ جويليه ــ ١٩١٧ قائلا : « يحدث غالبا خلال منعطف مفاجيء مـن تاريخ

الاحزاب المتقدمة نفسها ان تعجز خلال فترة قصيرة أو طويلة حسب الحالات عن التكيف مع الوضعية الجديدة وتبقى تردد الشعارات التي كانت بالامس صحيحة ، الا انها اليوم فقدت فجأة كل معنى لها . وهذا راجع الى ان ذلك التحول التاريخي حصل فجأة أيضا » . وهنا يكمن الخطر ، فاذا كان التحول قد حدث بصورة مفاجئة أو كان غير متوقع البتة واذا كانت الفترة السابقة قد جمعت كثيرا من العناصر الكابحة والمحافظة في المستويات العليا لقيادة الحزب ، فان هذا الاخير يبدو عاجزا عن القيادة في اخطر الاوقات التي اعد نفسه لها طيلة سنوات ان لم يكن طيلة عشرات السنين . وهكذا اذ يكون الحزب وقد طحنته الازمة ، ترك الحركة تسير دون هدف وتؤول الى الهزيمة .

ان الحزب الثوري يكون دائما موضوعا تحت ضغط القوى السياسية الاخرى وفي كل فترة من فترات نموه ، يخلق الوسائل التي تمكنه من مقاومة تلك الضغوط ودحرها . أما في المنعطفات التكتيكية التي تجلب معها التطاحن واعادة تشكيل كتله الداخلية فان قوة مقاومته تضعف . ومن هنا تكون الامكانية الدائمة لتطور تلك الكتل الداخلية التي ولدها المنعطف ، تطورا ملحوظا ، قد أصبحت قاعدة لمختلف الاتجاهات الطبقية . وبكل بساطة ، نقول ان الحزب الذي لا يستطيع مواكبة المهمات التاريخية لطبقته يصبح أو يكاد يصبح ، أداة غير مباشرة للطبقات الاخرى .

واذا كانت الملاحظة السابقة صادقة بالنسبة للمنعطف التكتيكي ، فانها أكثر صحة بالنسبة للمنعطف الاستراتيجي . ونحن نقصد هنا بالتكتيك المعنى الذي للكلمة في العلم العسكري وهو فن قيادة العمليات المنفردة ، كما نقصد

باستراتيجيته : فن تحقيق النصر اي الوصول الى السلطة . وقبل الحرب العالمية واثنــاء فتــرة الاممية الثانية لــم نكن عادة نقوم بهذه التفرقة بين الاستراتيجية والتكتيك ، اذ كنا نكتفي بالمعنى الذي حددته الاشتراكية ــ الديمقراطية لكلمة التكتيك . ولم يكن ذلــك آت بمحض الصدفة ، فقد كــان للاشتراكية الديمقراطية تكتيــك برلماني ، ونقابي ، وبلــدي وتعاوني الخ .. الا أن مسألــة جمع وتنسيق كل القــوى والموارد وجعلها سلاحالتحقيق النصر والغلبة على العدو لم تكن مطروحة على عهد الاممية الثانية ، التي لم تحدد لنفسها عمليا مهمة النضال من أجل السلطة ، ولــم تطرح المسائل الاساسية والاستراتيجية لنضال البروليتاريا ، الا بعد ردح قليل من الزمن ، بمجيء ثورة ١٩٠٥ التي قدمت فوائد جمــة للاشتراكيين الديمقراطيين الثوريين الروس : اي البلاشفة ، ولكن أعظم عهد لاستراتيجيته بدأ سنة ١٩١٧ أولا لروسيا ثم لاوروبا كلها بعد ذلك . وبالطبع فان الاستراتيجية لا تمنــع التكتيك كمسائل الحركة النقابية والنشاط البرلماني الخ الخ.. اذ ان هذه الاشياء لم تغب عن أنظارنا ولكنها تأخذ الان اهتماما مختلفا باعتبارها أساليب تابعــة للنضال المنظم من أجــل السلطة ، وبهــذا يمكن لنا ان نقــول : ان التكتيك تابــع للأستراتيجية .

واذا كانت المنعطفات التكتيكية تولد عادة التطاحن داخــل الحزب ، كما سبق ان ذكرنا ، فان المنعطفات الاستراتيجية ــ وهو ما له مبررات أكثر ــ تثير حتما ، اضطرابات أكثــر حدة . فالمنعطف الاكثــر مفاجأة هو ذلــك الذي تنتقل فيــه البروليتاريا من طور الاستعداد والدعاية والتنظيم والتحريض والنضال المباشر من أجل استلام السلطة ، الى طور الانتفاضة المسلحة ضد البرجوازية . ذلك ان كل ما في الحزب من مائع

ومثبط ومعوق وانهزامي ، يقف ضد الانتفاضة ويبحث عن صيغ نظرية يدعم بها نظريته ويجدها جاهزة لدى خصومه في الامس : الانتهازيين . ويمكننا مشاهدة هذه الظاهرة مرات عديدة .

فبعد أن قام الحزب خلال فترة شباط ـ تشرين الاول ـ فيفري ـ اكتوبر ـ بعمل واسع في مجال التحريض والتنظيم بين الجماهير ، ولم يبق أمامه سوى المرور بآخر امتحان وبآخر اختبار لسلاحه قبل الدخول في المعركة الفاصلة . وبعد أن جاء اكتوبر وما يليه ووضع هذا السلاح على المحك في عملية واسعة النطاق ، بعد هذا كله نجد من يشتغل بتقييم بوجه خاص ، ويمر في صمت بتجربة اكتوبر . أوليس هذا العمل « اسكولائية » (مناهج العصور الوسطى) عقيمة بعيدا عن ان يكون تحليلا ماركسيا للسياسة ؟. ان عملا من هذا النوع ليس له من مثيل سوى ذلك الجدل الذي قامت به جماعة حول اجدى طرق السباحة ، ولكنها كانت ترفض بعناد النظر الى النهر حيث يجري تطبيق تلك الطرق على اي من السباحين .

ليس هناك محك أفضل للنظريات التي تعالج الثورة من الثورة نفسها ، تماما كما اننا نعرف أفضل طريقة للسباحة عندما يلقي السابح بنفسه في الماء .

الديكتاتورية الديمقراطية

للعمال والفلاحين : فيفري ــ اكتوبر (شباط ــ تشرين الاول)

لقد سددت ثورة اكتوبر ــ بتطورها وبنتائجها ــ ضربة هائلة للماركسية السكولائية المنحرفة التي كانت منتشرة جدا بين أوساط الاشتراكيين الديمقراطيين الروس (التي بدات بفريق تحرير العمل) والتي وجدت تعبيرها التام عند المناشفة . والصفة الرئيسية المميزة لهذه الماركسية المزعومة هي تحويلها فكرة ماركس القائلة : بأن البلدان المتقدمة تري البلدان المتخلفة صورة تطورها المقبل ، والتي هي مشروطة ومحدودة بالزمان والمكان ، الى قانون مطلق فوق التاريخ ، يحاولون أن يجعلوا منه قاعدة لتكتيك حزب الطبقة العاملة . وبناء على هذه النظرية يكون من الطبيعي استحالة طرح مسألة نضال الطبقة العاملة في روسيا من أجل الوصول الى السلطة ، ما دامت البلدان الاكثر تقدما اقتصاديا لم تقدم مثالا ولم تخلق سابقة . ليس هناك من شك في ان كل بلد متأخر يجد بعض ملامح مستقبله في تاريخ البلدان المتقدمة ، ولكن هذا لا يعني بأنه سيقع تكرار عام لتطور الحوادث . فعلى العكس من ذلك ، فكلما اكتسى الاقتصاد الرأسمالي صبغة عالمية كلما اخذ تطور البلدان المتأخرة خصائص مميزة ، لان عناصر التأخر في تلك البلدان تقترن بالعناصر الاكثر عصرية في

الراسمالية . وقد كتب انجلز في مقدمته لكتاب حرب الفلاحين قائلا : « يحدث في مرحلة ما ، وهذا بالطبع ليس في كل زمان ومكان ، أو في مستوى معين من درجات التطور ، أن تبدأ البرجوازية في ملاحظة ان رفيقتها البروليتارية اخذت تتجاوزها » . وقد أجبر التطور التاريخي للبرجوازية الروسية على ان تلاحظ نفس الملاحظة منذ وقت مبكر وبشكل كامل كما لم تفعله أية برجوازية اخرى . وقد عبر لينين عن الطبيعة الخاصة للثورة الروسية عشية ١٩٠٥ في صيغة : الديكتاتورية الديمقراطية للبروليتاريا والفلاحين ، ولا تأخذ هذه الصيغة اهميتها كما أبان بعد ذلك المجرى التاريخي للحوادث الا باعتبارها مرحلة نمو الديكتاتورية الاشتراكية للبروليتاريا التي يسندها الفلاحون . وهذه الصيغة الثورية تماما والديناميكية جدا ، كما وصفها لينين تتعارض جذريا مع الصيغة المنشفية القائلة ان روسيا لا يمكن لها ان تطرح أكثر من تكرار تاريخ البلدان المتقدمة ، اي بأن تكون البرجوازية في الحكم ، والاشتراكيون الديمقراطيون في المعارضة ، ولكن حتى بالنسبة للينينية فهناك حلقات معينة في حزبنا لا تشدد على كلمة « ديكتاتورية » وانما على كلمة « ديمقراطية » لتعارض بها كلمة « اشتراكية » وهذا يعني عندهم ان الشيء الوحيد المعقول في روسيا البلد المتأخر هو الثورة الديمقراطية. اما الثورة الاشتراكية فيجب ان تبدأ في الغرب أولا ، نحن لا نستطيع ان نسير في الطريق الاشتراكي الا بعد انكلترا وفرنسا والمانيا . ولكن وجهة النظر هذه تلقي بصاحبها بصورة حتمية بين احضان المنشفية ، وهذا ما سينجلي تماما سنة ١٩١٧ حين كانت مهمات الثورة قد تجاوزت ميدان التنبؤ الى ميدان العمل .

عندما يريد المرء في أثناء أوضاع ثورية تحقيق الديمقراطية

الى أبعد حد ضد الاشتراكية (على اعتبار انه لم يحن أوانها بعد) معناه في العرف السياسي انه يريد الانتقال من موقف بروليتاري الى موقف برجوازي صغير ، اي الى الجناح اليساري في الثورة الوطنية .

فاذا أخذنا ثورة فيفري (شباط) مثلا باعتبارها ثورة برجوازية فاننا نرى انها جاءت متأخرة جدا ولا تحتوي على أية عناصر للاستقرار ، تمزقها التناقضات التي برزت في الحال في صورة ازدواجية للسلطة وكانت اما أن تتطور الى ثورة بروليتارية كما وقع فعلا أو تحول ، بحكم سيطرة أقلية برجوازية عليها ، روسيا الى شبه مستعمرة . وتبعا لذلك فانه يكون بالامكان أن نعتبر الفترة التي تلت فيفري اما فترة تدعيم ونمو واكمال للثورة الديمقراطية أو فترة استعداد للثورة البروليتارية . والاعتبار الاول لم يقع تبنيه فقط من طرف المناشفة والاشتراكيين الثوريين وانما ايضا من عدد معين من القادة البلاشفة بالرغم من أن هؤلاء يتميزون عند المناشفة والاشتراكيين الثوريين ببذل مجهود لدفع الثورة الديمقراطية ما أمكن الى اليسار ولكن اسلوبهم في الجوهر هو نفسه . اذ يكمن فيه ممارسة ضغط على البورجوازية الحاكمة دون الخروج عن اطار النظام الديمقراطي البورجوازي ولو ان هذه السياسة انتصرت لاخذت الثورة مجراها خارج نطاق حزبنا وتكون نتيجة ذلك في النهاية ان تقوم انتفاضة عمالية وفلاحية بغير قيادة حزبنا أو بعبارة اخرى ، تتكرر أيام تموز على نطاق اوسع . ومعنى ذلك وقوع الكارثة .

ويكون من الواضح ان تكون النتيجة المباشرة لتلك الكارثة انهيار حزبنا وهذا ما يوضح الخلافات العميقة في وجهات النظر التي كانت موجودة في ذلك الحين .

واذا كان اقتران تأثير المناشفة والاشتراكيين الثوريين في المرحلة الاولى للثورة جماهير البورجوازية الصغيرة وخاصة جماهير الفلاحين بنقص نضوج الثورة الراجـــع الى الظروف الخاصة التي خلقتها الحرب قد أعطى للبورجوازيين الصغار الثوريين المدافعين عن الحقوق التاريخية لحكم البورجوازية امكانية قيادة الشعب في الظاهر على الاقل . فان ذلك لا يعني ان الثورة الروسية كان يجب عليها بالضرورة أن تتابع السير في نفس الخط الـــذي سارت فيه منـــذ فيفري حتى اكتوبر ١٩١٧ . اذ ان خط السير لا تحدوه فقط العلاقة بين الطبقات وانما ايضا الظروف الوقتية التي خلقتها الحرب . فبتأثـــير هذه اصبح الفلاحون منظمين ومسلحين في صورة جيشهم يعد ملايين البشر . وقبل أن يكون للبروليتاريا الوقت الكافي لتنظيم نفسها تحت علمها الخاص لتجر وراءها الجماهـــير الريفية ، وجد البورجوازيون الصغار الثوريون سندا طبيعيا في الجيش الفلاحي المتمرد ضد الحرب . ويتصل هذا الجيش الذي لا يحصى المباشر لكل شيء ضغطوا على البروليتاريا حتى ان جروها في الاوقات الاولى وراءهم وكان سير الثورة يختلف لو سارت الامور على قاعدة العلاقة بـــين الطبقات فقط ، وهو فعلا ما توضحه اكثر من أي شيء اخر الحوادث التي سبقت الحرب . ففي تموز ١٩١٤ اهتزت بتروجـــراد باضرابات ثورية آلت الى معارك في الشوارع . وهذه الحركة كان يقودها بدون جدال المنظمة السريـــة ، والجرائد العلنية لحزبنا . فقد كانت البلشفية تقـــوى منـــذ تأثيرها في النضال

المباشر ضد الاشتراكيين الثوريين والبورجوازيين الصغار بصفة عامة . وقد جرى تطور هذه الحركة في المقام الاول توسيع قاعدة الحزب البلشفي : فلو تأسست منذ سنة ١٩١٤ مجالس مندوبي العمال السوفياتية لكانت منذ البدء بلشفية . بالاضافة

الى ان الريف كـــان يتم ايقاظه بواسطة تلك المجالس المدنيـــة التي كان سيقودها البلاشفة . ان هـــذا لا يعني القول بأنه بحكم الضرورة سيفقد الاشتراكيون الثوريون في الحال كـــل تأثير على الارياف . وعلى كل الاحتمالات فان المرحلة الاولى منذ الثورة البروليتارية كـــان سيقع تجاوزهـــا تحت علـــم النارودنيكيين . ولكن هؤلاء كانوا سيجبرون على تقديم جناحهم الايسر ليقيموا اتصالهـــم بمجالس السوفيات المدنية التـــي يسيطر عليها البلاشفة والنتيجة المباشرة للانتفاضة في هـــذه الحالة أيضا سترجع الى درجة الوعي العام والى سلك الجيش المرتبط بالفلاحين . ليس بالمكـــن الان ولا بالمفيد محاولـــة التكهن بما اذا كانت حركة ١٩١٤ ــ ١٩١٥ كانت ستنتصر لو ان الحرب لم تنفجر . ولو ان الثورة المنتصرة قد تطورت ضمن الطريق التي افتتحتها جويليه ــ تموز ١٩١٤ لكان معنـــا حظ كبير في أن يؤدي قلب القيصريـــة الى مجيء مجالس سوفيـــات للعمال الثوريين الى السلطة ، هـــذه المجالس التي ستجر بدورها لفلكها بواسطة النارودنيكيين.اليساريين (في الاوقات الاولى) جماهير الفلاحين .

ولكن الحرب قطعت حبل الحركة الثورية واجلتها مؤقتـــا لتدفع بها بعد ذلك الى الحد الاقصى . وقد خلقت في صورة عدة ملايين مسلحة ــ للاحزاب البرجوازية الصغـــيرة ليس فقط قاعدة اجتماعية وانما أيضا قاعدة منظمة نادرة الوقوع ، ولم تكن في الحسبان ، اذ مـــن الصعب في الواقع تحويـــل الفلاحين الى قاعدة قابلة للتنظيم حتى حينما يكونون في حالة ثورية . وهكذا وجدت أحزاب البرجوازية الصغيرة هـــذه المنظمة الممثلة في الجيش ، جاهزة للاستناد عليها ، فأخذت تملي على البروليتاريا شروطها وتحاصرها في حلقة الدفاع عن الوطـــن Defensisme ولهذا السبب قاتل لينين بشراسة

منذ البدء الشعار القديم « الديكتاتورية الديمقراطية للعمال والفلاحين » الذي أصبح في هذه الظروف يعني تحويل الحزب البلشفي الى يسار ضمن معسكر « المدافعين » . وبالنسبة للينين اصبحت المهمة الرئيسية هي سحب الطليعة البروليتارية من موجة (المدافعين) اذ بهذا الشرط وحده يمكن للبروليتاريا في المرحلة القادمة أن تصبح مركز التجمع للجماهير الريفية العاملة . ولكن ما هو الموقف الذي سيقفه تجاه « الثورة الديمقراطية » أو بالاصح « تجاه الديكتاتورية الديمقراطية للعمال والفلاحين » .

لقد وجه لينين بهذا الصدد ضربات قوية لاولئك « الشيوخ من البلاشفة » الذين « لعبوا — على حد قوله — اكثر من مرة ، أدوارا محزنة داخل حزبنا بترديدهم صيغا محفوظة ، بدلا من دراستهم للوضعية الملموسة في الواقع » . ويضيف قائلا « لا يجب الالتفاف حول صيغ قديمة وانما حول الواقع الجديد . فهل الصيغة البلشفية القديمة التي طرحها كامينيف: الثورة الديمقراطية لم تنته بعد ، وهل ما تزال تعانق الواقع ؟ كلا ، لقد شاخت ولم يبق لها قيمة على الاطلاق ، انها ماتت وسوف تذهب سدى تلك المجهودات التي تبذل لاحيائها » .

صحيح ان لينين قال في بعض الاحيان ان مجالس سوفيات مندوبي العمال والجنود والفلاحين مثلت في الفترة الاولى وفي حدود معينة ديكتاتورية العمال والفلاحين الثورية ، الا ان هذا صادق فقط عندما كانت تلك المجالس تمارس السلطة . وكما أوضح لينين ، اكثر من مرة ، فان مجالس فترة شباط — فيفري — لم تمارس سوى نصف السلطة ، حيث كانت تدعم سلطة البرجوازية وتمارس عليها ضغطا على شكل نصف معارضة . وهذه الوضعية الملتبسة ، بالضبط ، هي التي لا

تسمح لها بأن تخرج على اطار التجمع الديمقراطي للعمال والفلاحين والجنود ، على اساس ان هذا التجمع لا يستند الى علاقات حكومية مضبوطة ، وانما الى الجيش والى التفاعل الثوري ، فقد أخذ اتجاها نحو الديكتاتورية ولكنه لا يزال بعيدا عنها . ومن هذه الخاصية الديمقراطية غير الرسمية لهذا التجمع العمالي — الفلاحي — الجندي الذي يمارس نصف السلطة يكمن عدم استقرار هذه السوفياتات الوسطية . وهي لا بد من ان ترى دورها يتقلص الى حد اقحامها التام ، أو أن تأخذ السلطة بيدها بحق . وهي قادرة على اخذها لا كتجمع ديمقراطي عمالي فلاحي ممثلا بعدة أحزاب ، وانما كديكتاتورية بروليتارية يقودها حزب واحد تجر وراءها بعد ذلك الجماهير الريفية ، مبتدئة ، قبل كل شيء بالفئات النصف البروليتارية . وبعبارة أخرى ، فان التجمع الديمقراطي للعمال والفلاحين لا يمكن ان يعتبر قبل تسلم السلطة الا كشكل ابتدائي ، كاتجاه وليس كشيء مجسد في الواقع . ان السير نحو الاستيلاء على السلطة يستلزم حتما تفجير الغلاف الديمقراطي ووضع اغلبية الفلاحين تحت ضرورة الانقياد للبروليتاريا ، والسماح لهذه الاخيرة بتحقيق ديكتاتوريتها الطبقية . الامر الذي يجعلها تضع على رأس جدول أعمالها بتواز مع الديمقراطية الاجتماعية الجذرية تدخل الدولة البروليتارية الاشتراكي في حقوق الملكية الرأسمالية . أما الاستمرار في هذه الظروف في التمسك بصيغة « الديكتاتورية الديمقراطية » ، فانه ، في الحقيقة لا يعني سوى رفض تسلم السلطة وحشر الثورة في مأزق لا مخرج لها منه . ان القضية الرئيسية التي كان يدور حولها الجدل هي التالية : هل يجب النضال من اجل السلطة ؟ هل يجب أخذ السلطة أم لا ؟ وهذا وحده ما يوضح لنا كيف لم نكن أمام خلافات عرضية في الراي

وانما تجاه مبدئين : المبدأ الاول ، بروليتاري يؤدي الى طريق الثورة العالمية . والآخر (ديمقراطي) اي برجوازي صغير يفضي ، في نهاية التحليل ، الى تبعية السياسة البروليتارية لحاجات المجتمع البورجوازي الساعي لاصلاح نفسه . وقد بقي هذان الاتجاهان يصطدمان بشدة مع بعضهما طوال سنة ١٩١٧ حول كل القضايا مهما كانت أهميتها . ان الفترات الثورية رغم كونها الفترات التي يضع فيها الحزب كل ما تجمع لديه من ثروة وخبرة في الميدان العملي فانه لا بد من ان تظهر خلالها خلافات من ذلك النوع . وهذا هو الذي يجعلنا نرى ذينك الاتجاهين يظهران مرات عديدة ومتتالية على نطاقات واسعة أو محدودة ، حسب الاوضاع ، في جميع البلدان التي عاشت تلك الاوضاع . واذا اصبح يفهم من كلمة « بلشفية » التثقيف ، والصلابة ، والتنظيم للطليعة البروليتارية لتصبح قادرة على الاستيلاء على السلطة . واذا صار يفهم من كلمة « اشتراكية ديمقراطية » الاصلاحية ، والمعارضة ضمن اطار المجتمع البرجوازي ، مع اقرار شرعية هذا الاخير ، أو بمعنى آخر ، تثقيف الجماهير ضمن فكرة المحافظة على الدولة البرجوازية . فانه يكون من الواضح انه حتى داخل الاحزاب الشيوعية التي لا تلد منذ يومها الاول مسلحة في مصنع التاريخ ، سيظهر حتما النضال بين الاتجاهين الاشتراكي — الديمقراطي من جهة والبلشفي من جهة أخرى بصورة كاملة ومكشوفة خلال الفترات الثورية وعندما تطرح مباشرة قضية السلطة .

* * *

ان مهمة الاستيلاء على السلطة لم تطرح على الحزب الا يوم ٤ نيسان — أفريل — اي بعد وصول لينين الى بطرسبورغ .

ومع ذلك فان خط الحزب لم يكن بعد ذلك التاريخ دائم الاتصال، أو غير مطروح للنقاش من طرف الجميع ، اذ على الرغم من قرارات مجلس نيسان — افريل — ١٩١٧ فان مقاومة — تارة صامتة ، وتارة معلنة — برزت أثنــاء المجرى الثوري وخلال كامل فترة الاعداد .

ان دراسة تطور هذه الخلافات التي وقعت خــلال الفترة الممتدة من فيفري — شباط — الى الوقت الذي تدعمت فيــه ثورة اكتوبر لا تقــدم فائــدة نظرية نادرة فقط وانمــا ايضا تقدم فائدة عملية لا تقدر . ومع ان لينين نعى، في سنة ١٩١٠ ، الخلافات التي حدثت في المؤتمر الثاني سنة ١٩٠٣ فانه ينبغي تتبعهــا حتى جذورهــا أي منذ سنــة ١٩٠٣ ، بل عنــد « الاقتصادية » . ولكن دراسة كهذه لا يكون لها معنى الا اذا أكملت حتى تطابق الفترة التي وضعت فيها تلك الآراء موضع الامتحان الفاصل في اكتوبر .

نحن لا نستطيع في هذه الصفحات القيام ببحث معمق لكل مراحل ذلك الصراع . ولكننا نعتقد انه من الضروري ان نملأ ذلك النقص الموجود والذي لا يمكن قبوله في أدبياتنا والمتعلق بأهم فترة من فترات تاريخ حزبنا .

وكما ذكرنا ، فان قضية السلطة تمثل العقدة والمحور لتلك الخلافات لانها المحك الذي يحدد خاصية الحزب الثوري (بل حتى الحزب غير الثوري) . والفقرة التي ندرسها هي الفقرة التي تطرح فيها مشكلة الحزب وتحل ، بالاتصال الوثيق ، مع قضية السلطة . واننا هنا سندرس القضيتين حسب الترتيب التاريخي التالي : موقف الحزب وصحافته في الفترة الاولى بعد قلب القيصرية وقبل مجيء لينين ، الصراع حول أطروحات لينين : مجلس — افريــل — ، نتائج أيام تموز — جويليه —

عصيان كورنيلوف Kornilov ، الاجتماع الديمقراطي والبرلمان المؤقت Pré-Parlement قضية العصيان المسلح وازمة السلطة (سبتمبر ـــ أكتوبر) ، قضية الحكومة الاشتراكيـــة « المستقيمة » .

ونرجو ان تساعدنا دراسة الخلافات على استخلاص نتائج يكون بامكانها تقديم خدمة الى الاحزاب الاخرى المشاركة في الاممية الشيوعية .

الحرب ضد الحرب والدفاعية « DEFENSIME »

لقد سجل سقوط القيصرية في شباط ـــ فيفري ـــ ١٩١٧ قفزة ضخمة الى الامام ، ولكن بمعزل عن كل ذلك فان ثـورة شباط ـــ فيفري ـــ لا تعني سوى ان روسيا أخذت تقترب من نمط الجمهورية البرجوازية كتلك الموجودة في فرنسا مثلا . ولكن الاحزاب البرجوازية الصغيرة لم تعتبرها ثورة برجوازية وكذلك لم تواجهها باعتبارها مرحلة نمو النظام الاشتراكي ، وانما رأت فيها مكتسبا ديمقراطيا له في حد ذاته قيمة مستقلة . وعلى هذا الاساس بنت ايديولوجيتها في الدفاع الثوري ، فهي لا تدافع عن سيطرة طبقة من الطبقات بل تدافع عن الثـورة والديمقراطية . ولكن في داخل حزبنا ايضا أعطت ثورة تشرين الثاني ـــ نوفمبر ـــ في الاوقات الاولى فرصة التحول في النظرة الى الآفاق الثورية . فقد كـان موقف البرافدا خـلال شهر آذار ـــ مارس ـــ في الجوهر أقرب الى « المدافعين » منـه لموقف لينين . فقد قالت ـــ في مقال بقلم التحرير ـــ : « عندما يكون هناك جيشان متقابلان وجها لوجه ، فان اكثر السياسات غباء هي تلك التي تعرض على أحـد الجيشين القاء السلاح والرجوع الى ثكناته . ان هذه السياسة لن تكون سياسة سلام بل سياسة العبودية التي يرفضها ، بسخط ، شعب حر . ان الشعب سيبقى صامدا في مراكزه وسوف يرد على كل رصاصة برصاصة تقابلها ، وعلى كل قذيفة بقذيفة مقابلة وسوف لن

نسمع بأي حل Desorganisation للقوات المسلحة التابعة للثورة » . (برافدا ، ١٥ مارس ـ اذار ـ ١٩١٧ ، لا ديبلوماسية سرية) . ان المسألة هنا ـ كما نرى ـ لا تتعلق بالطبقات المسيطرة أو المضطهدة ، ولكن بالشعب ، وليست الطبقات التي تناضل من أجل السلطة ، ولكنه الشعب الحر الذي يبقى في « مراكزه » . فليست الافكار وحدها دفاعية تماما وانما أيضا صياغتها . وفي امكاننا ان نقرأ في نفس المقال : « ان شعارنا ليس حل الجيش ، الثوري ، أو الذي في طريقه لانه كذلك ، ولا الجملة الفارغة : تسقط الحرب . وانما : الضغط على الحكومة المؤقتة لاجبارها على ان تقوم ، علنا أمام الديمقراطية العالمية بمحاولة جعل كل الدول المتحاربة تفتح مفاوضات للبحث عن الوسائل الموصلة لايقاف الحرب . والى ان يتم ذلك الجيش ليبق كل في مركز قتاله » . ان هذا البرنامج الداعي للضغط على الحكومة الامبريالية لتقوم بتلك المحاولة هو نفس برنامج كاوتسكي وليدوبور Ledebour في المانيا ولونجي في فرنسا ، ومكدولاند في انكلترا ، لا برنامج البلشفية. ففي هذا المقال لم يكتف التحرير بتأييد بيان سوفيات بطرسبورغ المشهور : الى كل شعوب العالم (وهو بيان صادر عن عقلية الدفاع الثوري) وانما يتضامن مع القرارات الدفاعية المحقة الصادرة عن المهرجانين اللذين عقدا في بطرسبورغ حيث يعلن أحدهما : « اذا لم يسمع الديمقراطيون الالمان والنمساويون أصواتنا (أي صوت الحكومة المؤقتة وصوت مجلس السوفيات التوفيقي Leontrotsky) . فاننا سوف ندافع عن وطننا الى آخر قطرة من دمائنا » .

ان هذا المقال ليس استثناء . وهو يعبر تماما عن موقف البرافدا حتى عودة لينين الى روسيا ، وفي مقال آخر تضمن شيئا من الملاحظات الانتقادية لبيان : « الى الشعوب » ،

السابق ذكره بعنوان حول الحرب (برافدا ، ١٦ مارس — اذار — ١٩١٧) كتبت قائلة : « لا يمكننا الا ان نهتف لنداء الامس الذي دعا فيه مجلس سوفيات مندوبي العمال والجنود في بطرسبورغ جميع شعوب العالم بأسره للضغط على حكوماتها لكي توقف المجزرة » . ولكن كيف يتم ايجاد مخرج للحرب ؟ ان نفس المقال يجيب على ذلك قائلا : « ان المخرج يكمن في الضغط على الحكومة المؤقتة لتعلن قبولها حالا فتح محادثات للسلام » .

وفي امكاننا ان نعطي شواهد عديدة مماثلة ذات طابع دفاعي وتوفيقي ، مكشوف أحيانا ، ومقنع أحيانا أخرى . وفي الوقت الذي كان فيه لينين غير قادر على مغادرة زيوريخ ثار بقوة في رسائله من بعيد، ضد كل ما يظهر فيه مساومة مع الدفاعية أو التوفيقية . فقد كتب في ٨ اذار — مارس — ، قائلا : « ان مطالبة هذه الحكومة بابرام صلح ديمقراطي يماثله التبشير بالفضيلة لدى المساهمين في المحلات العمومية » . وبينما كانت البرافدا تنصح بالضغط على الحكومة المؤقتة لاجبارها على التدخل من أجل السلام أمام «جميع الديمقراطيات في العالم » كتب لينين قائلا : « ان التوجه الى حكومة جوتس كوف — ملكوف والعرض عليها ابرام صلح مشرف وديمقراطي في أسرع وقت يعني العمل مثل أسقف احدى القرى الذي يعرض على ملاك الاراضي والتجار ليعيشوا حسب شريعة الرب ، وليحبوا أقاربهم ، وليعطوا خدهم الايمن عندما يضربون على الخد الايسر » .

وفي ٤ نيسان — أفريل — غداة وصوله الى بطرسبورغ ثار لينين ضد موقف البرافدا حول قضية الحرب والسلام وقد كتب قائلا : « يجب ان لا يعطى أي دعم للحكومة المؤقتة ، يجب

ان نوضح أكاذيب وعودها ، خاصة تلك التي تتعلق باستنكار الالحاقات Anexations ، يجب أن ترفع الاقنعة عن هذه الحكومة بدلا من مطالبتها (المطالبات لا تولد سوى الاوهام) بالكف على ان تكون امبريالية » . وليس هناك حاجة تدعو الى القول بأن لينين قد وصف نداء التوفيقيين الصادر في ١٤ اذار ــ مارس ــ الذي استقبلته البرافدا باستحسان ، بأنه « دخاني » و « مبهم » . انه لمن المدجل الكبير دعوة الشعوب الاخرى لقطع علاقاتها مع أصحاب البنوك ومطالبتها في آن واحد بالدخول معها في حكومة ائتلافية . يقول لينين في مشروع برنامجه : « ان رجال الوسط يحلفون بالله العظيم انهم ماركسيون وأمميون ، وانهم مع السلام ، ومع كل ما يضغط على الحكومة لكي تظهر ارادة الشعب للسلام » .

ولكن هل يمكن لنا ان نرفض منذ الوهلة الاولى ، ضرورة تجنب حزب ثوري ممارسة ضغط على البورجوازية وعلى حكومتها ؟ بالطبع الجواب بالنفي اذ ان الضغط على الحكومة البرجوازية هو الطريق الى الاصلاحات . ولكن الاصلاحات التي تتناول المسائل الثانوية لا المسائل الرئيسية . ولا يمكن الحصول على السلطة بواسطة الاصلاحات . كما انه ليس في امكاننا اجبار البرجوزية بواسطة الضغط على تغيير سياستها في قضية اساسية تتعلق بمصيرها ، وبما ان الحرب لم تترك مجالا للضغط الاصلاحي فقد خلقت وضعا ثوريا : ولم يبق مجال للاختيار . فاما اتباع البرجوازية الى النهاية ، واما اثارة الجماهير ضدها لنزع السلطة من يدها . وفي الحالة الاولى يكون في المستطاع الحصول من البورجوازية على بعض الامتيازات في السياسة الداخلية على شرط دعم السياسة الخارجية للامبريالية . ولهذا السبب تحولت الاصلاحية الاشتراكية علنا الى امبريالية اشتراكية . كما وجدت العناصر

الثورية الحقيقية نفسها مجبرة على تأسيس أممية جديدة . ان موقف البرافدا لم يكن بروليتاريا ثوريا ، وانما كان ديمقراطيا — دفاعيا رغم كونه مبهما في دفاعيته . كأن يقال : لقد قلبنا القيصرية ، ونقوم بضغط على السلطة الديمقراطية ، وهذه يجب عليها ان تعرض بدورها السلام نيابة عن الشعوب . واذا لم تستطع الديمقراطية الالمانية أن تمارس ضغطا كافيا على حكومتها فنحن سندافع عن وطننا الى آخر قطرة من دمائنا . ان تحقيق السلام لم يطرح كمهمة استثنائية للطبقة العاملة (١) ، مهمة يقع انجازها من فوق رأس الحكومة المؤقتة البرجوازية . لان الاستيلاء على السلطة من قبل البروليتاريا لم يكن موضوعا كمهمة ثورية عملية . ومع ذلك فان المهمتين لم تكن احداها تنفصل عن الاخرى .

١ — التشديد من المترجم ، هناك مهمات استثنائية يطرحها التاريخ على الطبقات كالوحدة بالنسبة للطبقة العاملة العربية .

اجتماع نيسان — افريل —

كان خطاب لينين في محطة فنلندة حول الطبيعة الاشتراكية للثورة الروسية ، مثل القنبلة بالنسبة لكثير من قادة الحزب . فقاد الجدل منذ اليوم الاول بين لينين وبين انصار « استكمال الثورة الديمقراطية » .

كما كانت مظاهرة نيسان — أفريل — المسلحة التي دوى فيها شعار « تسقط الحكومة المؤقتة ! » مناسبة لنزاع حاد . فقد أعطت لممثلي اليمين تعلة لاتهام لينين بالبلانكية ، اذ أن مجلس الحكومة المؤقتة التي كانت مدعومة وقتئذ بأغلبية السوفياتات لا يمكن — على حد زعمهم — أن يتم الا بمعاكسة ارادة أغلبية العمال ، وهذا الاتهام في الظاهر لا يخلو من أساس . الا أن سياسة لينين في الحقيقة لا وجود لاي ظل من البلانكية عليها اذ ان المسألة بالنسبة له تنحصر كلها في المعرفة الى أي حد تستمر مجالس السوفيات في عكس الحالة الفكرية الحقيقية للجماهير ، وفي التأكد من صحة سياسة الحزب في التوجه نحو تلك المجالس . ان مظاهرة نيسان — أفريل — التي كانت الى « اليسار أكثر » مما يجب ، مثلت استكشافا هدفه مراجعة الحالة الفكرية للجماهير ، والعلاقة بينها وبين أغلبية السوفيات . وقد أبان ذلك الاستكشاف ضرورة القيام بعمل اعدادي طويل الامد . وفي

بداية أيار — ماي — قام لينين بتأنيب بحــارة جروند شتاد تأنيبا شديدا بسبب ذهابهم في الحماس الى حد بعيد ، حــد الاعلان عن عدم اعترافهم بالحكومة المؤقتة .

ان اعداء النضال من أجل السلطة يطرحون المسألة بطريقة اخرى . ففي مجلس نيسان — افريل — الحزبي قام كامينيف وأبدى شكواه قائلا : « في عدد مــن البرافدا قــدم بعض الرفاق (يقصد بالطبع لينين . (ت.) اقتراحــا بقلب الحكومة المؤقتة . وكان ذلــك قبل الازمة الاخــيرة ، ولكنهم عادوا وسحبوه بعد ذلك باعتبار انه ربما يدخل الفوضى ويستمــد جذوره من عقلية المغامرة . وظننا ان هؤلاء الرفاق قد تعلموا شيئا من الازمة الاخــيرة . ولكن الاقتراح (يعني الاقتــراح الذي قدمه لينــين الى المجلس) الــذي أمامنا يكرر نفس الخطأ » . وهذه الطريقة في طرح المسألة ذات دلالة كبيرة . اذ أن لينين عندما تم الاستكشاف سحب شعار قلب الحكومــة المؤقتة في الحال ، ولكنه سحبــه بشكل مؤقت ربما لعــدة أسابيع أو أشهر ريثما يقوى سخط الجماهير ضد التوفيقيين ، ولكن المعارضة اعتبرت ان ذلك الشعار خاطىء في حــين ان انسحاب لينين المؤقت الى الخلف لا يحمل أي تغيير في موقفه ، اذ انه لا يرتكز في تفكيره على ان الثورة الديمقراطية لم تنته بعــد ، وانما يعتبر فقط ان الجماهير ما تزال غير قادرة على قلب الحكومة المؤقتة ، وانــه يجب اعدادها لتصبح قادرة على ذلك .

ولقد كرس مجلس نيسان (افريل) كله لهذه المشكلــة الرئيسية : أن نمضي في الاستيلاء على السلطة ، وتحقــق الثورة الاشتراكية ، أم نساعــد على استكمــال الثــورة الديمقراطية ؟ ومن المؤسف ان محضر جلسات هذا المجلس

لم تنشر حتى الان رغم انه لا يوجد في تاريخ حزبنا مؤتمــر أهم منه واكثر التصاقا بميلاد الثورة .

كان برنامج لينــين ما يلي : النضال الذي لا يكل ضــد الدفاعية والدفاعيين ، غزو الاغلبية في مجالس السوفيات ، قلب الحكومة المؤقتة بواسطة مجالس السوفيات ، سياسة ثورية من أجل السلام ، مخطط للثورة الاشتراكية في الداخل وللثورة العالمية في الخارج . أما المعارضة كما نعلم فكانت مع استكمال الثورة الديمقراطية بواسطة الضغط على الحكومة المؤقتة وفي رأيها ان مجالس السوفيات يجب أن تبقى أدوات « تراقب » سلطة البرجوازية ، وانبثق عن هذا الرأي موقف اكثر توفيقية تجاه الدفاعية .

وقد أعلــن أحــد المناهضين للينــين في مجلس نيســان ــ افريل ــ : « نحن نتكلم عــن مجالس سوفيــات العمال والجنود على اعتبار انها المراكز المنظمة لقوانا وللسلطة ... ولكن اسمها وحده يرينا انها تكتل لقوى البرجوازية الصغيرة والبروليتاريا ، وهــذا يفــرض ضرورة استكمال مهمــات الديمقراطية البرجوازية . واذا كــانت الثــورة الديمقراطية البرجوازية قد انتهت فان هذا التكتل لا يمكن أن يبقى ... وعلى البروليتاريا أن تناضل ضده ... ومع ذلك فاننا نعترف بأن هذه المجالس السوفياتية تمثل مراكز لتنظيم قــوانا ... اذا فان الثورة البرجوازية لم تنته ، ولم تعط بعد كل ما يمكن أن تعطيه . وعلينا أن نعترف اذا كانت قد انتهت بأن السلطة سوف تنتقل الى البروليتاريا » . (خطاب كامينيف) .

ان نقص الانسجام في هذا التفكير واضح : فهو يقول بأن انتهاء الثورة لا يتحقق تماما ما دامت السلطة لم تنتقل الى أيد اخرى . فصاحب الخطاب المذكور يجهل المحــور الحقيقي

للثورة ولا يستمزج مهام الحزب من المجموع الحقيقي للقــوى الطبقية . ولكنه يفعل ذلك بواسطة تعريف شكلي للثــورة باعتبارها برجوازية أو ديمقراطية برجوازية . فحسب رايــه يجب التكتل مع البرجوازية الصغيرة وممارسة رقابة علــى السلطة البرجوازية ما دامت ثورتها لم تنته . وهذه القضية في الحقيقة مونشفية صافية . ذلك لان بالتحديد النظري لمهام الثورة بتبعتها (الثورة « بالبرجوازية ») نصل بشيء مــن القدرية الى سياسة مراقبة الحكومة المؤقتة ، والى المطالبة ببرنامج للسلام دون الحاقات ، الخ ... وباستكمال الثــورة الديمقراطية نفهم تحقيق سلسلة مــن الاصلاحات بواسطــة الجمعية التأسيسية حيث يلعب الحزب البلشفي دور الجناح الايسر. وبهذا يفقد شعار « كل السلطة للسوفيات » كل معنى حقيقي. ومسايرة لهذا الاتجاه أعلن نوجين Noguine في مجلس نيسان ــ افريل ــ وكأنه في ذلك أكثر منطقية من رفاقه في المعارضة ، قائلا : « خلال مجرى التطور رأينا ان صلاحيات مجالس السوفيات الاكثر اهمية تتلاشى ، كما رأينا سلسلة من وظائفها الادارية تنتقل الى المجالس البلدية والى الزيمت فوزات Zensttvos الخ ... واذا وضعنا في الحسبان ما ستتطور اليه بعــد ذلــك مؤسسة الدولة ، فاننا لا نستطيع أن ننكر انه ستوجد الجمعية التأسيسية ثــم على أثرها برلمان . وينتج عن ذلك ــ تدريجيا ــ انه ستنزع من السوفيات وظائفها الرئيسية . ولكن هــذا لا يعني ان وجودها سينتهي نهاية مخجلة . اذ انها سوف لا تفعل سوى أن تحول وظائفها الى غيرها . وليس بواسطة هذا النوع من السوفيات ستتحقق الجمهورية الشيوعية عندنا » .

وأخيرا ها هو معارض ثالث يتناول المشكلة من خــلال نضج روسيا للاشتراكية : « هل باستطاعتنا بمجرد رفع شعار

الثورة البروليتارية الاعتماد على دعم الجماهير ؟ كلا اذ أن روسيا ، اكثر البلدان الاوروبية اكتساء بالطابع البرجوازي الصغير . واذا اقر الحزب برنامج الثورة الاشتراكية فانه سيتحول الى حلقة من الدعائيين . ان الثورة سوف تتفجر في الغرب ... فمن أين ستشرق شمس الثورة البروليتارية ؟ اذا اخذنا في الحسبان الحالة السائدة عندنا وهي الوسط البرجوازي الصغير ، فان تقديري اننا لسنا نحن الذين يجب علينا أن نأخذ المبادرة في الثورة الاشتراكية . اذ ليس لنا القوة الضرورية لذلك ، بالاضافة الى ان الظروف الموضوعية لم تتوفر بعد . أما في الغرب فان قضية الثورة الاشتراكية مطروحة عليهم كما طرحت علينا نحن قضية قلب القيصرية » .

في مجلس نيسان — افريل — لم يذهب كل خصوم لينين الى المدى الذي ذهب اليه فوجين ، ولكنهم جميعا ، انسجاما مع منطق الاشياء اضطروا لقبول ذلك المدى بعد بضعة أشهر عشية اكتوبر . وهكذا آلت الامور في حزبنا الى اختيار أحد الامرين ، أما قيادة الثورة البروليتارية ، واما المعارضة داخل البرلمان البرجوازي . والموقف الثاني موقف منشفي أو بالاحرى كان كذلك قبل ان يضطر المناشفة الى تغييره بعد ثورة نوفمبر ، اذ كان زعماء هؤلاء خلال عدة سنوات يؤكدون ان الثورة المقبلة ستكون برجوازية . وان حكومة بورجوازية لا تستطيع سوى اكمال المهام البرجوازية . وان الاشتراكية — الديمقراطية لا تستطيع أن تأخذ على عاتقها مهام الديمقراطية البرجوازية . كما يجب عليها « بدفع البرجوازية الى اليسار » الانفراد بدور المعارضة. ومارتينوف Martinov لم يتعب قط من ترديد هذه النغمة . الا ان الحوادث بعد اكتوبر أدت بهم الى الاشتراك مبكرا في الحكم ، وهكذا بعد

موقفهم هذا لم يحتفظوا من مواقفهم المبدئيـــة الا بنظريتهــم القائلة بعدم جـــواز تسلم البروليتاريا للسلطة . أما اولئـــك البلاشفة الذين يدينون تهافت المناشفة على الوزارة وفي آن واحد يثورون ضد أخــذ البروليتاريا للسلطة فانهم يقعـــون انفسهم في المواقف الثورية للمناشفة سابقا !

لقد أحدثت الثورة تغييرا في ترتيب المواقف السياسية في اتجاهين : أصبح اليمينيون كاديت وأصبح الكاديت جمهوريين (تغير نحو اليسار) وسار الاشتراكيون الثوريون والمناشفــــة الحزب البرجوازي الحاكم (تغير نحو اليمين) . وبواسطـــة هذا النوع من التغييرات يحاول المجتمع البرجوازي ان يخلق هيكله الجديد ، واستقراره ونظامه .

وعندما كان المناشفة يتخلون عـــن اشتراكيتهم الصورية الوضيعة أخذ يمين البلاشفة ينتقل الى الاشتراكية الصورية اي الى الموقف الذي كان يحتله المناشفة من قبل .

وقد حدثت التغييرات نفسها حول مسألة الحرب ، فـــان البرجوازية (التـــي كانت لا تأمل أبدا في انتصار عسكـــري) ــ باستثناء بعض النظـــريين ــ اقرت الصيغـــة التاليـــة « لا الحاقات ولا غرامةحرب » . كما انالمناشفة والاشتراكيين الثوريين الزمرولديين Zimmerwaldiens الذين كانوا ينتقدون الاشتراكيين الفرنسيين لانهم يدافعون عـــن وطنهـــم الجمهوري البرجوازي انقلبوا الى دفاعيين منذ أن شعروا انهم في ظل جمهورية برجوازية وانتقلوا من امميين سلبيين الـــى وطنيين نشيطين . وفي نفس الوقت انزلق اليمين البلشفـــي الى الاممية السلبية التي « تضغط » على الحكومة المؤقتة من أجل سلم ديمقراطي « بلا الحاقات ، ولا غرامات حرب » .

الامر الذي جعل صيغة الديكتاتورية الديمقراطية للبروليتاريا والفلاحين تتفرع في مجلس نيسان — افريل — نظريا وسياسيا لتلد وجهتي نظر متعارضتين ، الاولى النظرة الديمقراطية التي تتقنع بتجريدات اشتراكيــة صوريــة ، والثانية النظــرة الاشتراكية الثورية ، او بمعنى أصــح ، النظرة البلشفيــة الحقيقية .

أيام تموز وعصيان كورنيلوف

والاجتماع الديمقراطي

والبرلماني المؤقت

لقد أعطت قرارات مجلس نيسان ـــ افريل ـــ للحـزب قاعدة صحيحة ، ولكنها لم تضع حدا للخلافات في قمة القيادة فعلى العكس من ذلك تماما اكتست تلك الخلافات خلال مجرى الحوادث صبغة اكثر تعقيدا ، وبلغت قمة حدتها في الاوقات الاكثر خطورة على الثورة اذا استثنينا ايام اكتوبر .

ذلك ان محاولة تنظيم مظاهرة ١٠ حزيران ـــ جوان ـــ التي أوحى بها لينين ادينت بالمغامرة ، من قبـل اولئك البلاشفة الذين لم يوافقوا على الصبغة التي اكتستها تلك المظاهرة . ورغم ان مظاهرة ١٠ حزيران ـــ جوان ـــ لـم تتم لان مجلس السوفيات اصدر قرارا بمنعها ، فان الحـزب ثـأر لنفسه باستغلاله مظاهرة بطرسبورغ العامة التي أخذ المبادرة فيها التوفيقيون بحذر ، وجعلها تسير تحت الشعارات البلشفية ، الا أن الحكومة التي أرادت أن تكون لها الكلمة العليا ، قامت بهجوم غبي على الجبهة وتحرج بذلك الموقف . فوضع لينين الحزب في حالـة تنبه ضد اعمـال الطيش ، وكتب في ٢١ حزيران ـــ جوان ـــ قائلا في البرافدا : « ايها الرفاق ان أي

تدخل في الساعة الراهنة سوف لا يكون صادرا عن عقل ، يجب علينا أن نمر الان بمرحلة جديدة في ثورتنا » .

وسجلت أيام تموز — جويليه — خطوة هامة في طريق الثورة وفي تطور الخلافات داخل الحزب ، وقد لعب الضغط العفوي لجماهير مدينة بطرسبورغ في هذه الايام دورا حاسما . ولكن الشيء الاكيد ان لينين كان يتساءل دائما عما اذا كان الوقت لم يحن بعد ، وعما اذا كانت الحالة الفكرية لم تتجاوز مجالس السوفيات باعتبارها بنية فوقية ، وعما اذا لم تكن قد خدرتنا الشرعية السوفياتية ، وهل يواجهنا خطر التخلف عن الجماهير وبالتالي قطع صلتنا بها ، ويكاد يكون من المؤكد ان بعض العمليات العسكرية المحضة قد تمت خلال ايام تموز — جويليه — على ايدي بعض الرفاق الذين اعتبروا بحق بانهم لا يختلفون مع تقدير لينين للوضعية . وقد قال لينين بعد ذلك : « لقد اقترفنا في تموز — جويليه — ما فيه الكفاية من الحماقات » ولكن في الحقيقة هذه المرة أيضا لم تتعد العملية نطاق الاستكشاف ولكن على مدى أوسع ، وفي مرحلة أكثر تقدما بالنسبة للحركة . وكان يجب علينا أن نقاتل ونحن نتراجع . ولكن لينين والحزب لم يريا في عملية تموز — جويليه — سوى حادثة عارضة دفعا فيها ثمنا غاليا مقابل استكشاف قمنا به داخل صفوف قوات العدو . ولم يكن في استطاعتها أن تغير من الخط العام لعملنا . وعلى العكس من ذلك رأى الرفاق المعادون لسياسة الاستيلاء على السلطة في حادثة تموز — جويليه — مغامرة مؤذية ، وكان ذلك مناسبة لعناصر اليمين هذه لان تقوي من تحركها ولتجعل نقدها أكثر احكاما . وعندئذ تغيرت لهجة الرد وكتب لينين قائلا : « ان هذا العويل وهذه التصورات التي تحاول أن تبرهن على انه كان يجب عدم الاشتراك في حادثة تموز ،

انما آتيـــة من مرتدين ، ان كـــانت صادرة عـــن بلاشفة ، أو انها مظاهرة خوف واضطراب مألوفـــة لدى البرجوازيـــة الصغيرة » . وكلمـــة مرتد هذه التي أطلقت في ذلك الحـــين تنير ببريق تراجيدي الى أي مدى بلغت الخلافـــات داخـــل الحزب . وعلى اثر ذلك أصبحت هذه الكلمة تظهر بكثـــرة في الجدل الذي كان قائما على أشده .

ان الموقف الانتهازي ازاء قضيتي السلطة والحزب قـــد أدى بالطبع الى تحديد موقف مماثل ازاء الاممية ، فقد حاول لينين دفع الحزب الى الاشتراك في مؤتمـــر الاشتراكيين ـــ الديمقراطيين باستوكهولم. الا أن لينين رد في ٦ آب ـــ أوت ـــ قائلا : « ان خطاب كامينيف في المركز التنفيذي العام يـــوم ٦ آب ـــ أوت ـــ حول مؤتمر ستوكهولم لا يمكن ان يكـــون مقبولا من طرف البلاشفة المخلصين لحزبهـــم ولمبادئهم » . وردا على التعبير الذي قال ان الراية الثورية بدأت ترفـــرف على ستوكهولم كتب قائـــلا : « انه اعلان فـــارغ يعيش في عقـــل تشيرنوف Tchernov وتسيريتللـــى Tseretelli وهو فرية صارخة ، ليست الراية الثورية وانما هي رايـــة صفقات واتفاقات هدنة الاشتراكيين الامبرياليين . انها رايـــة مفاوضات أصحاب البنوك لاقتسام الاراضي الملحقة ، التـــي بدأت ترفرف على ستوكهولم » .

ان الطريق الذي يؤدي الـــى ستوكهولم هو في الحقيقـــة الطريق الذي يوصل الى الاممية الثانية ، كما ان المشاركـــة في البرلمان المؤقت توصل الى الجمهورية البرجوازية . وكان لينين مع مقاطعة مؤتمر ستوكهولم كما كـــان بعد ذلك مـــع مقاطعة البرلمان المؤقت ، ورغم عنف النضال فانه لم ينس لحظة مهمة خلق اممية جديدة ، اممية شيوعية .

كان لينين في ١٠ نيسان ــ افريل ــ قد اقترح تغيير اسم الحزب وواجه الاعتراضات التي قامت أمام اقتراحه قائلا : « أنا ها هنا أمام حجج الروتين والخمود والسلبية » . ثم الح قائلا : « لقد حان الوقت لنزع قميصنا المتسخ وتعويضه بثياب نظيفة » ورغم ذلك فان المقاومة بين الاوساط القيادية كانت قوية . وكان لا بد من انتظار عام كامل حتى يقرر الحزب تغيير اسمه ويرجع الى تقاليد ماركس وانجلز . ان هذه الحادثة لها دلالتها الخاصة اذ تبين مدى الدور الذي لعبه لينين طوال سنة ١٩١٧ ، حيث لم ينقطع في أشد المنعطفات التاريخية سرعة ، عن شن النضال العنيف داخل الحزب ضد الامس في سبيل الغد ، خاصة وان المقاومة الناجمة عن الامس والتي ظهرت تحت راية التقاليد بلغت أقصى حدتها .

وعصيان كورنيلوف الذي سبب تحولا لمصلحتنا لم ينه تلك الخلافات ، وانما خفف من حدتها مؤقتا . ففي وقت من الاوقات ظهر بين اليمين اتجاه يدعو الى التقارب بين حزبنا وبين اغلبية السوفيات حول الدفاع عن الثورة الى حد ما عن الوطن ، فكان رد لينين في شهر أيلول ــ سبتمبر ــ في رسالة له الى اللجنة المركزية ما يلي : « ان قبول وجهة النظر القائلة بالدفاع عن الوطن أو الذهاب (كما يفعل بعض البلاشفة) الى حد الاتفاق مع الاشتراكيين الثوريين ودعم الحكومة المؤقتة ، يعني ــ كما أنا مقتنع تماما ــ ارتكاب أفظع خطأ . وهو في الوقت نفسه برهان على الافتقار المطلق للمبادىء ، فنحن لن نكون دفاعيين الا بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة . . » ثم يضيف بعد ذلك قوله : « حتى في هذا الوقت يجب علينا أن لا ندعم حكومة كيرينسكي ، واذا لم نفعل ذلك فاننا نكون قد تجردنا من المبادىء . واذا ما سألوننا الا نقاتل كورنيولوف نجيب نعم ، نقاتله بكل

تأكيد . ولكن هنالك فرقا بـين مقاتلة كورنيلوف وتأييـد كيرنسكي ، فبين الامرين حد فاصل . وهذا الحد تجـاوزه بعض البلاشفة فسقطوا في أحضان التوفيقية تاركين أنفسهم لتيار الحوادث لكي يجرفهم » .

وقد سجل انعقاد المؤتمر الديمقراطي (١٤ ـ ٢٢ ايلول ـ سبتمبر ـ) ، وما تمخض عنه من مولد البرلمان المؤقـت، مرحلة جديدة في تطور الخلافات . وقـد حـاول المنشيفيك والاشتراكيون الثوريـون بواسطـة الشرعيـة البرلمانيـة البرجوازية فناصر اليمين البلشفي هذا التكتيك . وقـد رأينا فيما سبق الطريقة التي يطرح بها اليمين تطور الثورة : تحول مجالس السوفيات بالتدريج وظائفها الى المؤسسات المختصة : البلديات ، والزمزتقوزات ، والنقابات ، وأخـيرا الجمعيـة التأسيسية . وبهذا تختفي من المسرح السياسي . ان مهمـة البرلمان المؤقت هي اعداد وتوجيه أفكار الجماهير السياسيـة نحو الجمعية التأسيسية التي ستتوج الثورة الديمقراطية . لقد حدث في الوقت نفسه الذي أحـرز فيه البلاشفة علـى أغلبية السوفيات في كل من بطرسبورغ وموسكو ، واخـذ نفوذنا في الجيش ينمو يوما بعد يوم . ان المسألة هنا لا تتعلق بالتكهنات أو باستشفاف الافاق المقبلة ، وانما بالاختيار الذي يجب الالتزام به في الحال دون تأخير .

ورغم ان سلوك الاحزاب التوفيقية في المؤتمر الديمقراطي كان دنيئا دناءة صارخة ، فان اقتراحنا بمغادرة هذا المؤتمـر علنا حيث كدنا نغرق فيه ، كان يصطدم بمقاومة منظمة مـن عناصر اليمين التي لا زالت تملك تأثيرا كبيرا في قيادة حزبنا ، وكان الاصطدام حول هـذه المشكلة مقدمة للصراع حـول مقاطعة البرلمان المؤقت . ففي ٢٤ أيلول ـ سبتمبر ـ أي

بعد المؤتمر الديمقراطي كتب لينين : « يجب على البلاشفة ان ينسحبوا احتجاجا ، ولكي لا يقعوا في فخ المؤتمر الذي يسعى لتحويل اهتمام الجماهير عن المشاكل الجدية » .

وكان للنقاش داخل القسم البلشفي في المؤتمر الديمقراطي حول مسألة مقاطعة البرلمان المؤقت ، رغم محدودية مجاله اهمية استثنائية ، اذ كان في الحقيقة أوسع محاولة يقوم بها اليمينيون لحشر الحزب في طريق « استكمال الثورة الديمقراطية » . **والمحضر المرقون على الالة لهذه المناقشات على الاغلب لم يوجد** . وعلى أية حال ، فحسب معلوماتي لم توجد حتى الان أية ملاحظة للسكرتارية . الا أن تحرير هذه الدراسة مكنتني من العثور بين الاوراق على بعض المواد القليلة جدا حول الموضوع . وقد قدم كامينيف الحجج التي جاءت بعد ذلك في صورة أكثر عنفا وصفاء . ففي رسالته التي وجهها بمشاركة زينوزياف الى منظمات الحزب (١١ اكتوبر) وكان نوجين هو الذي طرح المسألة في صورة أكثر منطقية حيث قال بالحرف الواحد : ان مقاطعة البرلمان المؤقت تشكل نداء الى العصيان ، أي تكرارا لايام تموز . وما من أحد يستطيع مقاطعة مثل هذه المؤسسة لمجرد كونها تحمل اسم **البرلمان المؤقت** .

لقد كانت الفكرة الاساسية لليمينيين ان الثورة تقود بشكل لا مهرب منه من السوفيات الى البرلمانية البرجوازية . وبما ان البرلمان المؤقت يمثل خطوة في هذه الطريق ، فليس هنالك من سبب يجعلنا نرفض المشاركة ما دمنا سنحتل مراكز اليسار في البرلمان . انه يجب — على حد قولهم — استكمال الثورة الديمقراطية و « الاستعداد » للثورة الاشتراكية . ولكن كيف يكون ذلك ؟ في رايهم يكون عن طريق المدرسة

البرلمانية البرجوازية . ولما كانت البلدان المتقدمة تمثل صورة التطور المقبل للبلدان المتخلفة ، ولما كانوا قد نظروا الى قلب القيصرية بمنظار ثوري وهو ما حصل في الواقع ، فان استيلاء البروليتاريا على السلطة في رأيهم سيكون عن الطريق البرلمانية المنبثق عن الديمقراطية المكتملة ، وبالتالي ، حسب رأيهم ، ستكون هناك فترة طويلة تمتد لعدة سنوات تفصل الثورة البروليتارية عن الثورة البرجوازية ، ويقوم في أثنائها نظام ديمقراطي . لقد كان النضال من أجل المشاركة في البرلمان المؤقت نضالا في سبيل « أوروبنة «Europeaniser الحركة العمالية وقولبتها في أقرب وقت ممكن في مجرى « النضال » الديمقراطي « من أجل السلطة » اي في مجرى الاشتراكية ــ الديمقراطية ــ . كان فريقنا في الاجتماع الديمقراطي يعد أكثر من مئة عضو ، ولم يكن يختلف في شيء ــ خاصة في تلك الظروف ــ عن أي مؤتمر للحزب ، وقد أعرب القسم الاكبر منه عن تأييده للمشاركة في البرلمان المؤقت . وهذه الحقيقة وحدها كانت كافية ، بحكم طبيعتها أن تثير قلقا بالغا لدى لينين ، فأخذ يدق ناقوس الخطر .

وكتب غداة المؤتمر الديمقراطي قائلا : « سوف نرتكب من جانبنا ، خطأ فادحا ، ونقع في بلاهة برلمانية لا مثيل لها لو قبلنا المؤتمر الديمقراطي او البرلمان المؤقت . ذلك انه حتى لو اعلن هذا المؤتمر عن نفسه انه البرلمان المستقر للثورة فانه لن يقرر شيئا ، فالمقررات الحقيقية تتخذ خارجه حيث تقررها الاحياء العمالية في بطرسبورغ وفي موسكو » . أما موقفه من البرلمان المؤقت فتوضحها رسالته الى اللجنة المركزية المؤرخة في ٢٩ أيلول ــ سبتمبر ــ والتي تتحدث عن « الاخطاء الصارخة التي ارتكبها البلاشفة ، كالقرار المخجل المتعلق بالمشاركة في البرلمان المؤقت » ، ففي اعتقاده

ان هذا القرار يمثـل الاوهـام الديمقراطية والضـلالات البرجوازية الصغيرة التي لم تنقطع أبدا عن النضال ضدها . وليس صحيحا ان الثورة البرجوازية يجب أن يفصلها عـن الثورة البروليتارية سنوات طويلة . وليس صادقا القول بأن المدرسة البرلمانية هي الوحيـدة أو الرئيسية في التحضـير للاستيلاء على السلطة . وليس صادقـا أيضا القول بـأن الطريق المؤدي للسلطة يمـر ، بالضرورة ، بالديمقراطيـة البرجوازية . ان القول بمثل ذلك لا يكـون سوى تجريدات خالية من الانسجام ، وخطوط عريضة نظرية ليس لها من نتيجة سوى تقييد الطليعة ، ووضع ايديهـا في السلاسل . ان القيام من خلال آلية الدولة « الديمقراطية » بالمعارضة التي تلعب دور الظل السياسي للبرجوازية معناه هنا التجسيـد الكامل للاشتراكية ـ الديمقراطية . ان سياسة البروليتاريا يجب ألا تقاد من خلال ملخصات مدرسية ، وانما من خـلال المجرى الحقيقي للصراع الطبقي . يجب ان لا نذهب للبرلمان وانما يجب أن نعد الانتفاضة وننتزع السلطة من يد الخصم ، فالبقية تأتي بعد ذلك . وقد ذهب لينين الى حد اثارة الدعـوة لعقد مؤتمر استثنائي للحزب يكون موضوعه الاساسي مقاطعة البرلمان المؤقت . وابتداء من هـذا التاريخ أخـذت مقالاته بالاخصّ تنمي هذه الفكرة : يجب أن لا نمر من خـلال المؤتمر المؤقت وان لا نضع أنفسنا قاطرة يجرها التوفيقيون . يجب النزول للشوارع وشن النضال من أجل السلطة .

حول ثورة اكتوبر

لم يكن من الضروري عقد مؤتمر استثنائي ، اذ ان ضغط لينين أمن تحويل القوة الضرورية لليسار داخل اللجنة المركزية وكذلك بين فريقنا في البرلمان المؤقت حيث خرج البلاشفة منه يوم ١٠ اكتوبر .

أما في بطرسبورغ فان نزاع السوفيات مع الحكومة أخذ يجري حول ارسال الوحدات المرابطة في المدينة والموالية للبلاشفة الى الجبهة . وفي ٦ اكتوبر انشأت اللجنة العسكرية الثورية كهيئة سوفياتية شرعية للانتفاضة . وهنا بدأ يمين الحزب يبذل قصارى جهده في كبح سير الحوادث ، وبذلك كله دخل صراع الاتجاهات داخل الحزب وصراع الطبقات في البلاد المرحلة الحاسمة . وقد اوضحت رسالة **حول الساعة الراهنة** المضاة من كامينيف وزينوفياف موقف اليمين على أكمل وجه . وأبانت دوافعه ، فقد كتبت هذه الرسالة يوم ١١ اكتوبر أي قبل الثورة باسبوعين ، ووجهت الى المنظمات الرئيسية في الحزب ، ثائرة ثورة تامة ضد قرار اللجنة المركزية القاضي بالقيام بالثورة المسلحة ، ومنبهة الحزب ضد اساءة تقدير قوى العدو ، مستهينة استهانة كبيرة بقوى الثورة ، منكرة حتى وجود نفسية قتالية لدى الجماهير (اسبوعان فقط قبل ٢٥ اكتوبر) . فهما يقسولان : « نحن مقتنعون تماما بأن اعلان الثورة المسلحة في هذا

الوقت ليس فقط لعبا بكيان حزبنا وانما أيضا لعب بالثورة الروسية والعالمية » . ولكن ماذا نفعل اذ لم نقرر الثورة وانتزاع السلطة ؟ الرسالة تجيب على كل ذلك بوضوح قائلة : « ان الجيش والعمال يمثلون بأيدينا مسدسا مصوبا نحو صدغ البرجوازية تجبرها به على عقد الجمعية التأسيسية . واذا أخذنا في الاعتبار ان حزبنا له أكبر حظ في انتخابات الجمعية التأسيسية وبأن نفوذ البلاشفة آخذ في الازدياد ، فان تكتيكا صحيحا يجعلنا نفوز على أقل تقدير بثلثي مقاعد الجمعية التأسيسية » . وبناء على ما جاء في هذه الرسالة ، فان الحزب يجب ان يلعب دور المعارضة « المؤثرة » في داخل الجمعية التأسيسية البرجوازية . والى هذا الحد فنحن أمام تصور اشتراكي — ديمقراطي مكشوف ، خاصة اذا قرأنا في الرسالة الفقرة التالية : « ان مجالس السوفيات التي أصبحت عنصرا من عناصر حياتنا الدستورية لا يمكن أن تزول ... اذ عليها ستعتمد الجمعية التأسيسية في عملها الثوري ، ذلك ان النمط الدستوري الذي ستقوم عليه مؤسسات الدولة في المستقبل والنمط الذي يجمع بين الجمعية التأسيسية ومجالس السوفيات » . وهذه النظرية القائلة بازدواج السلطة داخل الدولة ، والتي تريد ان تجمع بين الجمعية التأسيسية ومجالس السوفيات ليست ظاهرة فريدة وانما هي طابع مميز للخط العام لليمينيين أينما كانوا ، ولذا وجدنا ادلير هلفريدنج الالماني — النمساوي ، بعد عام ونصف او عامين يعتنقها في المانيا ، وهو رجل قاوم ايضا استيلاء البروليتاريا على السلطة دون ان يخامره الشك لحظة بانه يرتكب سرقة لحقوق التأليف.

رسالة **حول الساعة الراهنة** تلاحظ اننا أصبحنا نملك اغلبية الشعب في روسيا ولكنها لا تأخذ في الحسبان الا الاغلبية البرلمانية المحنطة : « في روسيا نملك تأييد اغلبية العمال

وجزءا مهما من الجنود ، وما عدا ذلك فمشكوك فيه ، نحن مقتنعون مثلا بأنه لو جـرت انتخابات الجمعية التأسيسية لصوت الفلاحون في اغلبيتهـم مع الاشتراكيـين الثوريين . ونعتقد ان هذا ليس محض صدفة » .

ان طرح المسألة على هذا النحو يحمل في طيه خطأ جذريا ، الا يمكن ادراك ان الفلاحين لهم مصالح ثورية قوية ، ورغبة جامحة لتلبيتها وانهم لا يستطيعون أن يكون لهم موقف سياسي مستقل . اذ انهم بالاجمال اما ان ينتموا الى جانب البرجوازية، باعطاء اصواتهم الى الاشتراكيين الثوريين او يقفوا بنشاط الى جانب البروليتاريا . وعلى سياستنا يعتمد اختيارهم أحد الطريقين . فاذا ذهبنا نحن الى البرلمان المؤقت لنلعب دور المعارضة داخل الجمعية التأسيسية فاننا نضعهم بذلك تلقائيا أمام وضع لا بد عليهـم فيه ان يبحثوا عن تلبيـة رغباتهم ومصالحهم بواسطة الجمعية التأسيسية ، وعن طريق الاغلبية لا المعارضة بينما يكون الامر بالعكس لو استولت البروليتاريا على السلطة اذ ان هذا الاستيلاء سيخلق في الحال اطارا ثوريا لنضال الفلاحين ضد كبار الملاك وضد الموظفين . ولهذا فاني أقول مستعملا التعبير الجاري : بأن الرسالة تحتوي في آن واحد على سوء تقدير ، ومبالغة لقوة الفلاحين . سوء تقدير لامكانياتهم الثورية (تحت قيادة البروليتاريا) ومبالغة في مدى استقلالهم السياسي . وهذا الخطأ المزدوج ينبع بدوره مـن سوء تقدير سير قـوة البروليتاريا وحزبها . أي مـن تصور اشتراكي ـ ديمقراطي للبروليتاريا . وليس هنا شيء مفاجىء، اذ أن كل الوان الانتهازية السياسية تعتمد كأساس لها ـ في نهاية التحليل ـ على تقييم غير عقلاني لقوى الثورة ولامكانيات البروليتاريا .

ان محرري الرسالة وهما يقاومان فكـــرة الاستيلاء على السلطة لاذا الى ارهاب الحزب باحتمالات الحرب الثورية :
« ان جماهير الجنود تدعمنا لا من أجل شعار الحرب وانما من أجل شعار السلم ... واذا استلمنا السلطـــة وحدنا فاننا سنصل في يوم ما — اذا أخذنا الوضعية الدولية في الاعتبار — الى ضرورة شن حرب ثورية ، واذاك تبتعد عنا جماهـــير الجنود . واذا كان من المؤكد ان النخبة الشابة مـــن هؤلاء ستبقى معنا فان جماهيرها ستغادر صفوفنا » . ان هـــذا الاستدلال على غاية من الاهمية ، ذلك اننا نجد فيه بعد ذلك الاسباب الاساسية للنضال في سبيل عقد صلح بريست لي توفسكي ، ولكن الصدف جعلت منه في هذا الوقت اداة ضد الاستيلاء على السلطة ، من الواضح ان الموقف الذي اتخذ في هذه الرسالة سهل فقط لمحرريها ومناصريهم قبـــول صلح بريست ، ولكن علينا أن نعيد هنا ما كنا ذكرناه آنفا ، وهو ان ما يميز عبقرية لينين السياسية ليس هو التسليم المؤقت في بريست اذا ما نظر اليه على انفراد ، وانما تبرز عبقريته من خلال الحلف الذي الفه بين اكتوبر وبريست . وهـــذا ما يجب عدم تناسيه .

تناضل الطبقة العاملة وتنمو في ظل الوعي على ان خصمها أقوى منها ، وهذا أمر نلحظه دائما في الحياة . فالخصـــم يملك الثروة والسلطة وكـــل وسائـــل الضغط الايديولوجي والاضطهاد ، والتعود على هذه الفكرة أي على تفوق قـــوة الخصم تشكل عاملا بناء في حياة وعمل حزب-ثوري ما زال في طور التحضير والاعداد ، واذا حدث ان الحزب ترك نفسه بأعمال غير حذرة أو غير ناضجة ، فانه فجأة يجد نفسه أمام قوة عدوة حاضرة تترقب . ولكن يأتي يوم تصبح فيه عـــادة اعتبار تفوق الخصم في القوة ، العائق الرئيسي في تحقيـــق

النصر ، لان ضعف البرجوازية اليوم يختفي بشكل أو بآخر في ظل قوتها بالامس . « انكم تسيئون تقدير قوة العدو ! » ان هذا الشعار يمثل نقطة التقاء كل أولئك الذين يعادون قيام الثورة المسلحة . وقد كتب اليمينيون في هذا الصدد قبل النصر باسبوعين قائلين : « يجب على كل الذين يرفضون ببساطة البحث في أمر الثورة المسلحة أن يزنوا ببرودة الاحتمالات . ونحن نعتقد ان من واجبنا أن نقول انه من أضر الاشياء أن يساء تقدير قوة الخصم ، كما انه من أضر الاشياء أيضا المبالغة في تقدير قوتنا . ان قوة العدو أكبر بكثير مما قد تبدو . ان بطرسبورغ هي التي تقرر نتيجة الصراع . وفي هذه المدينة كدس خصوم حزب البروليتاريا قوة ذات اعتبار : خمسة آلاف من أبناء النبلاء المسلحين جيدا والمنظمين باحكام يريدون ويحسنون القتال بشراسة . بالاضافة الى الاركان العامة ، وفرق الصدام ، والقوزاق ، وقسم لا بأس به من الحامية ، وجزء كبير من المدفعية يطوق بطرسبورغ على شكل مروحة . زد على ذلك ان خصومنا يحاولون تقريبا بنجاح عن طريق اللجنة المركزية التنفيذية أن يستقدموا جيوشا من الجبهة » . (حول الساعة الراهنة) .

من الواضح ان الامر خلال حرب أهلية لا يرجع الى تعداد الكتائب وانما الى تقييم درجة الوعي ، ولذلك فانه من غير الممكن على الاطلاق الوصول الى دقة كاملة . فلينين نفسه قدر ان العدو يملك قوى هامة في بطرسبورغ واقترح أن تبدأ الثورة أولا في موسكو حيث يمكن فيها ــ حسب رأيه ــ تجنب اراقة الدماء . ومثل هذه الاخطاء الجزئية في التقدير لا يمكن تجنبها حتى في أكثر الظروف مؤاتاة . ويكون التعقل أكثر عندما تقع مواجهة أسوأ الاحتمالات . ولكن الذي يهمنا في هذه المناسبة هو ظاهرة المبالغة في تقدير قوى العدو ،

والتشويه التام لكل النسب ، في حـــين ان العدو لا يملك في الحقيقة أي قوة مسلحة .

وهذه المشكلة كما اظهرت التجربة الالمانية لها اهمية بالغة . ولما كان شعار الثورة بشكل رئيسي ، اذا لم نقل استثنائي ، وسيلة تحريض بالنسبة لقادة الحزب الشيوعي الالماني ، فانهم لم يفكروا في القوات المسلحة التي يملكها العدو (الراشويهر ، الفرق الفاشية ، الشرطة) وبدا لهم ان المد الثوري المتصاعد دون انقطاع سوف يحل وحده المشكلة العسكرية . ولكنهم عندما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام المشكلة فان هــؤلاء الرفاق انفسهم الذين اعتبروا ، بشكل أو بآخر ، قوة العدو غير موجودة ، سقطوا في أول وهلـــة في الطرف الآخـــر ، فأخذوا يوافقون في ثقة على كل الارقام التي تعطى لهم حول القوات المسلحـــة للبرجوازية ، ويضيفونها الى الرايشويهر والشرطة ، ثم يدورون الرقم ليصلوا به الى (النصف مليون وأكثر) وهكذا يجدون أمامهم جمهورا كثيفـــا مسلحا حتـــى الاسنان كفيلا بأن يشل جهودهم بدون منازع . كانت قـــوى الثورة المضادة الالمانية ذات اعتبار أكثر لانها كانت أكثر تنظيما واعدادا مـــن قـــوات الكورنيلوفيين عندنـــا أو أنصـــاف الكورنيلوفيين . ولكن القوات العاملة للثورة الالمانية أيضا كانت تختلف عن القوات الثورية عندنا . فالبروليتاريا كانت تمثل الاغلبية الساحقة بين سكان المانيا ، بينما كانت الامـــور عندنا تتوقف على بطرسبورغ وموسكو ، او هكذا على الاقل في المرحلة الاولى . أما في المانيا فان الثورة كان يمكن أن يكون لها منذ البدء مراكز بروليتارية عديدة . ولو ان قادة الحـــزب الشيوعي الالماني فكروا في ذلك ، لظهرت لهم قوات العـــدو المسلحة أقل وطأة مما لو نظر اليها من خلال تقييمها الاحصائي المفرط في الانتفاخ . وعلى أية حال فانه يجب الكف كليا عن

التقديرات الجزافية التي وقعت ، ولا زالت مستمرة ، بعد فشل اكتوبر المانيا بغرض تبرير السياسة التي قادت الى هذا الفشل . وتجربتنا في روسيا ، بهذه المناسبة ، لها اهمية خاصة : فقبل اسبوعين من انتصارنا الذي لم يرق فيه دم في بطرسبورغ ، وهو الانتصار الذي كان يمكن أن نحققه قبل تاريخ وقوعه بأسبوعين ، رأى بعض ساسة حزبنا المجربين اعدادا من القوى العدوة تتجه ضدنا ، الجونكر Junkers الذين يريدون ويحسنون القتال ، وحدات الصدام ، القوزاق ، جزء معتبر من الحامية ، المدفعية التي تشكل مروحة حول بطرسبورغ ، قوات مجلوبة من الجبهة ، في حين لم يكن في الواقع شيءً من ذلك ، على الاطلاق . لنفترض الآن للحظة ، ماذا كانت ستؤول اليه الثورة لو ان خصوم الانتفاضة كانت لهم اليد العليا على الحزب وعلى اللجنة المركزية . ولو لم يستنجد لينين بالحزب على اللجنة المركزية ، وهو ما كان مستعدا له على الدوام وقام به بنجاح ؟ بكل تأكيد ، كانت ستقدم قربانا على مذبح خراب ، وليست كل الاحزاب لها أمثال لينين عندما تواجه نفس المواقف . ولنتصور ايضا الطريقة التي كان سيكتب بها التاريخ لو ان الاتجاه الذي تنكب عن الدخول في المعركة انتصر داخل اللجنة المركزية .
ان المؤرخين الرسميين ما كانوا ليترددون لحظة في عرض الوضع بصورة تبرهن على ان الانتفاضة كانت جنونا حقيقيا في أكتوبر ١٩١٧ ، ولكانوا قدموا الى القراء احصائيات خيالية حول عدد الجونكر ، والقوزاق ووحدات الصدام ، والمدفعية « المشكلة على صورة مروحة » ، والجيوش الآتية من الجبهة . ان هذه القوات التي لم توضع على المحك في الانتفاضة ربما كانت تبدو مخيفة جدا أكثر مما كانت في الواقع ، وهذا هو الدرس الذي يجب أن يرسخ في وعي كل ثوري .

ان ضغط لينين والحاحه الذي لا يكل على اللجنة المركزية كان مدفوعا بالخوف من ان يفوت الاوان . لكن اليمينيين كانوا يردون : تراهات ! ان نفوذنا يزداد يوما بعد يوم . فمن على صواب ؟ وماذا تعنون بفوات الاوان اذا ؟ سنتناول بالتحليل هذه القضية التي يصطدم فيها التقييم البلشفي الايجابي الاستراتيجي للطرق والاساليب الثورية مع التقييم الاشتراكي — الديمقراطي المنشفي المشبع قدرية في أنقى صوره . فماذا اذا يعني فوات الاوان ؟ من الامور البديهية ان انسب وقت للثورة هو ذلك الوقت الذي تكون فيه نسبة القوى مائلة لمصلحتنا . ونحن حينما نتحدث عن نسبة القوى فانما نقصد تلك التي تقع في ميدان الوعي وما يتبعه من نقاوة في الروح المعنوية لدى الاطراف المتنازعة والمعبر عنه بالبناء الفوقي السياسي ، اذ في ظل أساس اقتصادي واحد ، وتحت اختلافات طبقية بعينها ، وهو الاساس الذي يعتبر ثابتا الى حد ما خلال الفترة الثورية ، تتغير نسبة القوى تبعا للحالة النفسية للجماهير البروليتارية ، وذوبان أوهامها وتكدس خبراتها السياسية ، بالاضافة الى انهيار ثقة الفئات والطبقات الوسيطة بالسلطة الحكومية ، وضعف ثقة هذه الاخيرة في نفسها . وخلال زمن الثورة تتم كل هذه العمليات بصورة جديدة . واذاك يتركز كل فن التكتيك في ادراك الظرف الذي تجتمع فيه هذه الشروط ليصبح أكثر مؤاتاة لنا . وكان عصيان كورنيلوف قد هيأ لنا تماما هذه الشروط . فالجماهير التي فقدت ثقتها في أحزاب الاغلبية السوفياتية ورأت بعينها خطر الثورة المضادة ، اعتبرت ان الوقت قد حان لايجاد مخرج للوضع عن طريق البلاشفة . وما كان بالامكان أن تدوم لمدة طويلة كراهية السلطة الحكومية ولا ثقة الجماهير العفوية المزدحمة حول البلاشفة ، التي تطالب بالحاح ، انه يجب حل

الازمة ، بصورة أو بأخرى ، الآن أو الى الابد ، كما قال لينين.

وجوابا على هذا يرد اليمينيون بقولهم : « انه لخطأ تاريخي كبير أن تطرح مسألة استيلاء حزب البروليتاريا على السلطة بهذه الطريقة : الآن أو الى الابد ، ذلك ان حزب البروليتاريا في نمو مطرد وبرنامجه يتضح أكثر يوما بعد يوم لجماهير تتسع أعدادها شيئا فشيئا ... ولن يقطع تقدم نجاحاته الا المبادرة الآن بالثورة في الظروف الراهنة ... اننا نحذر من هـذه السياسة المشؤومة » (حول الساعة الراهنة) .

ان هذا التفاؤل القدري الذي تبديـه الرسالة يحتاج الى دراسة يقظة لانه ليس خاصة وطنية ، ولا فردية على الاطلاق. فلم يمض وقت طويل حتى رأيناه في المانيـا في العام الماضي وهو في جوهره ليس سوى الميوعة والعجز عن الفعل المتخفي وراء قدريـة توقعية ، ولكنـه أيضا يقتنع لصالح تخمينـات مخدرة ، ونحن نصبح ــ كما تقول الرسالة ــ ذوي تأثير أكثر فأكثر ، وقوتنا تتزايد مع الزمـن ! يا له مـن خطأ فادح ! انها تتجاهل ان قوة حزب ثوري ما تنمو الى حدود معينة تصبح بعدها معرضة للهبوط ، اذ أمام جمود الحزب تتبدد آمـال الجماهير وتختفي لتحل محلها الخيبة ، وفي هذا الوقت يبـدأ العدو الذي أخذ يستفيق من كبوته بالاستفادة من تلك الخيبة. وهذا ما حصل بالضبط في المانيا في أكتوبر ١٩٢٣ . ولم نكن نحن في روسيا بعيدين عنه جدا في خريف ١٩١٧ . وكان يكفي أن نتأخر اسابيع اخرى لكي يقع ، ولذلك أصاب لينين حين قال : « الآن أو الى الابد ! » .

الا أن خصوم الانتفاضة يجيبون قائلين ، وفي هذا حجتهـم الاقوى والاخيرة : « ان القضية الحاسمة تكمن فيما يلي : هل الوضع النفسي لعمال وجنود العاصمة بلغ حقا درجـة

أصبحوا فيها لا يرون سبيلا للنجاة الا في قتال الشوارع ، ويريدونه بأي ثمن ؟ ان هذه النفسية لا وجود لها ... ولن توجد ، ولا تكون مضمونة بين صفوف الجماهير الفقيرة بين سكان العاصمة الا اذا اخذ هؤلاء المبادرة في الثورة ، وجروا وراءهم المنظمات الاكثر أهمية والاكثر اعتبارا (نقابة السكك الحديدية ومراكز البريد والبرق الخ ...) وهي المنظمات التي لا زال نفوذ حزبنا فيها ضعيفا . وما زالت هذه الوضعية النفسية مفقودة حتى في المصانع والثكنات فانه يكون من الخداع أن نبني عليها مخططاتنا . (حول الساعة الراهنة) .

هذه السطور التي كتبت يوم ١١ اكتوبر لها أهمية استثنائية في الوقت الراهن خاصة اذا تذكرنا بأن الرفاق الالمان الذين قادوا الحزب أيضا تعللوا عند توضيح انسحاب العام الماضي الذي تم دون قتال ، بأن الجماهير لم تكن راغبة فيه . ولكن الذي يجب فهمه جيدا : ان الانتفاضة المنتصرة هي التي تكون بشكل عام مضمونة أكثر ، وذلك عندما تكون الجماهير قد أخذت كفايتها من التجربة ، بحيث لا ترتمي دون روية في القتال ، وتنتظر ، وتطلب قيادة مقاتلة حاسمة وذاتية . ففي اكتوبر ١٩١٧ بعد تجربتي نيسان — افريل — وتموز — جويليه — وبعد عصيان كورنيلوف ، فهمت الجماهير العمالية ، أو على الاقل النخبة منها ، فهما جيدا ان المسألة لا تتعلق باحتجاج عفوي وجزئي ، أو باستكشافات ، وانما تتعلق بالانتفاضة الحاسمة من أجل الاستيلاء على السلطة . واذاك تكثفت حالتها النفسية ، وأصبحت نقدية ومتروية أكثر . ان الانتقال من العفوية الوثوقية الملأى بالاوهام الى الوعي الاكثر نقدية يولد بصورة حتمية ازمة ثورية . وهذه الازمة المتنامية لا يمكن تجاوزها فعليا الا بسياسة خاصة بالحزب ، أي ان يكون قبل كل شيء له الارادة والكفاءة الحقيقيتان لقيادة

انتفاضة البروليتاريا . وبالعكس من ذلك عندما يكون حزب ما قد قاد لفترة طويلة تحريضا ثوريـــا ، ونزع شيئا فشيئا البروليتاريا من تأثير العناصر والاحزاب التوفيقية ، ثم حدث في يوم ما أن رفعته ثقة الجماهير الى قمة الاحداث ، فبدأ يتردد ويتلكأ ، يراوغ ويشل من نشاط الجماهير ، ويثير فيها الغرور وقلة التنظيم ، فانه حتما يضيع الثورة الا انه يضمن مقابلها تعلة نقص نشاط الجماهير . والى هذا الطريق أرادت رسالة **حول الساعة الراهنة** ان تقود منظمتنا . ولكن من حسن الحظ ان حزبنا بقيادة لينين قضى بحسم على هذه النفسية فـــي الاوساط القائدة ، وبفضل ذلك وحده حقق الانتفاضة بنجاح .

***

والآن بعد أن كشفنا عن جوهر القضايا السياسية المرتبطة بالتحضير لثورة اكتوبر ، وبعد أن حاولنا تسليط الاضواء على المعنى العميق للخلافات بالرأي داخل الحزب ، بقي علينا أن نفحص في ايجاز الظروف الهامة للصراع الـــذي دار داخل الحزب في الاسابيع الاخيرة الحاسمة .

اتخذت اللجنة المركزية قرارا بقيام الانتفاضة المسلحة يوم ١٠ اكتوبر ، وفي يوم ١١ منه وجهت **رسالة الساعة الراهنة** الى منظمات الحزب . وفي يوم ١٨ منه أي قبل اسبوع مـــن الثورة نشر كامينيف رسالة في النوفايا جيزن تقـــول : « ليس فقط زينوزياف وأنا ، بل ومجموعة اخرى من الرفاق تـــرى ان المبادرة بالانتفاضة المسلحـــة في الوقت الراهن وأمـــام السنية الحالية للقـــوى ، وباستقلال عـــن مؤتمر مجالس السوفيات وقبل أيام من استدعائه ، ستكون عملا غير مقبول ومشؤوما على البروليتاريا وعلى الثورة » (نوفايا جيزن ، ٨ اكتوبر ١٩١٧) . وفي يوم ٢٥ اكتوبر تم الاستيلاء علـــى

السلطة وتشكلت الحكومة السوفياتية في بطرسبورغ . وفي ١٤ تشرين الثاني — نوفمبر — قدم كثير من المناضلين الكبار استقالتهم من اللجنة المركزية وفي مجلس مفوضي الشعب (أي الحكومة) مطالبين بتكوين حكومة ائتلافية من الاحزاب الموجودة داخل مجالس السوفيات « والا — كتبوا قائلين — التسليم لحكومة بلشفية محضة تفرض نفسها بواسطة الارهاب السياسي » . وفي وثيقة اخرى مكتوبة في ذلك الوقت أيضا نجد « نحن لا نستطيع تحمل مسؤولية هذه السياسة المشؤومة التي تطبقها اللجنة المركزية ضد ارادة جزء كبير من البروليتاريا والجنود الذين يريدون في أقرب وقت ممكن كف اراقة الدماء بين مختلف الفئات الديمقراطية ، ولهذا السبب نقدم استقالتنا من عضوية اللجنة المركزية ليكون لنا الحق في قول رأينا بكل صدق لجماهير العمال والجنود وحثهم على تأييد شعارنا « لتحيا حكومة مؤلفة من الاحزاب السياسية ! الاتفاق حالا على هذا الاساس ! » (انتفاضة اكتوبر ، أرشيف ثورة ١٩١٧) .

وهكذا فان اولئك الذين قاوموا الانتفاضة المسلحة وعارضوا بتسلم السلطة باعتبارها مغامرة ، جاؤوا بعد انتصار الانتفاضة يريدون ارجاع السلطة الى الاحزاب التي انتزعتها البروليتاريا من يدها ، بأي حق يرجع الحزب البلشفي السلطة — اذ ان الامر هنا يتعلق بارجاع السلطة — الى المناشفة والاشتراكيين الثوريين ؟ ان اعضاء المعارضة يجيبون : « اننا نعتقد ان تكوين مثل تلك الحكومة ضروري لتفادي سفك الدماء الذي يمكن أن يقع ، ولتجنب المجاعة التي تهدد البلاد ، واتقاء لسحق الثورة من انصار خالدين ، ولتأمين استدعاء الجمعية التأسيسية في الموعد المقرر ، ولتطبيق برنامج السلام الذي اقره مؤتمر مجالس سوفيات

عموم روسيا » .

وبعبارة اخرى ، فانه يجب ايجاد باب سوفياتي ينفذ على طريق البرلمانية البرجوازية ، واذا كانت الثورة قد رفضت أن تمر عبر البرلمان المؤقت ، وحترت مجراها بواسطة انتفاضة اكتوبر ، فان المهمة — حسب راي المعارضة — التي يجب القيام بها هي انقاذ الثورة من الديكتاتورية وتقنينها في نظام برجوازي عن طريق اللقاء مع المناشفة والاشتراكيين الثوريين، وبالطبع فليس هناك اشكال في الاتفاق على شروط معينة .

وغداة ٥ تشرين الثاني — نوفمبر — ظهرت أيضا رسالة يبرز فيها نفس الاتجاه تقول : لا أستطيع باسم الانضباط الحزبي ، السكوت عندما يكون الماركسيون خلافا للمعقول ، ورفضا لما تفرضه الاوضاع لا يريدون ان يفهموا الظروف العملية التي تملي علينا الاتفاق مع الاحزاب السياسية ... لا استطيع باسم الانضباط أن امنح نفسي لعبادة الشخصية ، أو أن استتبع من مشاركة سابقة لهذا أو ذاك من الاشخاص في الوزارة اتفاقا سياسيا مع كل الاحزاب الاشتراكية ، ذلك الاتفاق الذي يدعم مطالبنا الاساسية ، وان أي تأخير فيه سوف يجلب اراقة الدماء ... (الجريدة العمالية ، تشرين الثاني — نوفمبر — ١٩١٧) .

ان كاتب هذه الرسالة وهو لوزوفسكي Losovsky يخلص في النهاية الى المطالبة بضرورة النضال من أجل عقد مؤتمر للحزب ليقرر « ما اذا كان الحزب البلشفي ما يزال حزبا ماركسيا للطبقة العاملة أو انه سيلتزم طريقا اخرى لا علاقة لها بالماركسية الثورية » .

كانت تبدو الحالة شبه ميؤوس منها . فلم تكن فقط

البرجوازية ، ولا مــلاك الارض الكبار ، ولا « الديمقراطية الثورية » التي كانت تضم عدة منظمات (اللجنـــة التنفيذية لعمال السكك الحديدية في عموم روسيا ، لجنـــة الجيش ، الموظفون الخ ...) وانما أيضـــا مناضلون ذوو تأثير مـــن حزبنا ، أعضاء في اللجنة المركزية وفي مجلس مفوضي الشعب. كل هؤلاء يدينون علنا محاولة الحزب البقاء في السلطة وتطبيق برنامجه . ان أية نظرة سطحية للحالة اذاك تظهر ان الوضع ميؤوس منه ، ذلك ان الموافقة على مطالب المعارضة كانت تعني القضاء على ثورة اكتوبر . ولم يبق من عمل سوى المضي الى الامام والاعتماد على الارادة الثورية للجماهير . وفـــي ٧ اكتوبـــر نشرت البرافدا تصريحـــا لا غموض فيه صـــادرا عن اللجنة المركزية ، ومحررا من قبل لينين يستمد روحه من الحماس الثوري ، ويضمر صيغا واضحـــة بسيطة لا جدال فيها ، متجها بنظره الى جماهير الحزب . وهو تصريح ازال كل الشكوك حول السياسة المقبلة للحزب وللجنة المركزية ، يقول هذا التصريح : « العـــار لكل الرجال الذيـــن ينقصهم الايمان . العار لكل المترددين ، العار لكل المتشككين ، العار لكل اولئك الذين سمحوا بأن تخيفهم البرجوازية ، أو صخبها المباشر أو غير المباشر ! ليس هناك ظل للتردد بـــين جماهير العمال والجنود من سكان بطرسبورغ أو موسكو أو غيرهما . ان حزبنا كالرجـــل الواحـــد سيحرس السلطة السوفياتية وسيسهر على مصالح كل الشغيلة خاصـــة ، منهم العمـــال والفلاحون الفقراء » (برافدا ، ٢٠ تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ ١٩١٧) .

ورغم ان الحزب قد تجاوز أحـــد ازمـــة الا ان الصراع الداخلي لم ينقطع بعد . فقد استمر في السير على نفس الخط ولكن أهميته السياسية اخذت تنقص شيئا فشيئا . ونجـــد

شاهدا مهما جدا على ذلك التقرير الذي كتبه أوريسكي لجلسة لجنة حزبنا في بطرسبورغ في ١٢ كانون الاول — ديسمبر — حول موضوع استدعاء الجمعية التأسيسية ، ففيه يقول ان اختلاف وجهات النظر في حزبنا ليس جديدا ، وهو يتبع نفس الخط الذي سارت فيه قضية الانتفاضة . والآن يعتبر بعض الرفاق الجمعية التأسيسية تتويجا للثورة . فهم يفكرون كما يفكر البرجوازيون الصغار ويطلبون أن لا نقع في عدم الكياسة الخ ... ولا يريدون أن يراقب البلاشفة الاعضاء في الجمعية التأسيسية دعوتها ، ونسبة القوى فيها الخ ... فهم يقدرون الاشياء من خلال نظرة شكلية ، ولا يفهمون ان معطيات تلك المراقبة تسمح لنا برؤية ما يجري حول الجمعية التأسيسية ، وبالتالي تتيح لنا تحديد موقفنا من هذه نفسها ... اننا نناضل الآن في سبيل مصالح البروليتاريا وفقراء الفلاحين في حين ان بعض الرفاق يتصور اننا نصنع ثورة برجوازية سوف تنتهي بالجمعية التأسيسية » .

وقد كان حل الجمعية التأسيسية علامة انتهاء مرحلة في تاريخ روسيا ، وفي تاريخ حزبنا ، وبعد أن تم تجاوز الصعوبات الداخلية ، لم يستطع حزب البروليتاريا فقط أخذ السلطة وانما أيضا الاحتفاظ بها .

انتفاضة اكتوبر و « الشرعية » السوفياتية *

في أيلول ــ سبتمبر ــ ويوم انعقاد المؤتمر الديمقراطي ، كتب لينين يطالب بالقيام بالانتفاضة حالا : « لكي ننظر الى الانتفاضة كماركسيين ، اي ننظر اليها كفن يجب علينا في نفس الوقت دون اضاعة لحظة واحدة ، أن ننظم أركانا عامة لكتائب الانتفاضة ، ونوزع قوانا بحيث تحتل الفصائل المخلصة أهم النقاط ، وتطوق مسرح الاكسندرا ، وتحتل قلعة بيتر وبول وتعتقل الاركان العامة والحكومة ، وتبعث الى الطلبة ــ الضباط والى « الكتيبة المتوحشة » فرقا مستعدة للتضحية الى آخر رجل من رجالها في سبيل ان لا تترك العدو يدخل الى اجزاء المدينة الرئيسية . يجب علينا أن نحرك كتائب العمال المسلحة وندعوهم الى المعركة المقدسة واحتلال البرق والهاتف المركزي في آن واحد . وهنالك نقيم أركاننا العامة ونربطها تليفونيا مع كل المصانع ومع كل الفرق ومع كل النقاط التي يجري فيها الصراع المسلح الخ ... ان هذا كله ليس سوى شيء تقريبي ، ولكنني هنا اريد البرهنة على اننا في الوقت الراهن لا يمكن أن نبقى مخلصين للماركسية وللثورة دون أن نعتبر الانتفاضة فنا » .

ان هذه الطريقة في مواجهة الاشياء تفترض اعدادا لانتفاضة والقيام لها بواسطة الحزب ، وتحت قيادته ثم بعد ذلك يتوج الانتصار بموافقة مؤتمر مجالس السوفيات . ولكن اللجنة

المركزية لم توافق على هـــذه الطريقة . كـــان من رأيها أن الانتفاضة يجب أن تأخذ مجراها في الطريق السوفياتي وتكون مربوطة بمؤتمر مجالس السوفيات . ان هذا الخلاف يتطلب ايضاحا خاصا لانه لا يدخل بالطبع في نطاق الخلافات المبدئية وانما له صيغة فنية محضة ، ومع ذلك فان له أهمية كبيرة في المجال التطبيقي .

سبق ان ذكرنا كيف تيم لينين فوات أوان الانتفاضة، ولعلمه بوجود ترددات في قمة الحزب ، ولان التحريض كان يربط ربطا صوريا بين الانتفاضة وبين انعقاد المؤتمر الثاني لمجـــالس السوفيات ، ظهر له ان في ذلك تأخيرا لا يمكن قبوله وانـــه مساومة مع الميوعة والمائعين وضياعا للوقت وهو جريمـــة حقيقية . ولذلك اخذ يتناول الفكرة ويدحضها أكثر من مـــرة ابتداء من اخر أيلول ــ سبتمبر ــ ، فكتب في ٢٩ منه قائلا : « يوجد في اللجنة المركزية ، ولدى بعض قادة الحزب ، ميل ، واتجاه ، نحو انتظار مؤتمر مجالس السوفيات ، وضد أخذ السلطة في الحال ، ضد الانتفاض حالا ، يجب مقاومة هـــذا الميل أو الاتجاه » .

ثم كتب في أول اكتوبر قائلا : « التأخير جريمة ، وانتظـــار انعقاد مؤتمر مجالس السوفيات ليس سوى شكلية صبيانية عبثية بل خيانة للثورة » . أما وجهـــة نظره حـــول مؤتمر بطرسبورغ المحدد عقده يوم ٨ اكتوبر ، فيقول « يجب النضال ضد الاوهام الدستورية والامـــال المنعقدة علـــى مجالس السوفيات ، يجب عدم الانصياع الى النيات التي تريد انتظار هذا المؤتمر بالضبط » . ثم يضيف قائلا : « ان التاريخ لا يرحم تلكؤ الثوريين الذين في امكانهم ان ينتصروا (ولا بـــد أن

ينتصروا بالتأكيد) اليوم ، ثم يخاطرون بذلك الانتصار بانتظار غـــد » .

تكتسي هذه الرسائل التي ضرب كل مقطع فيها على سندان الثورة ، أهمية فائقة في معرفة طبيعة لينين وفي تقييمه لاهمية الوقت . فكل الروح التي تخيم على هذه الرسائل ادانـــة للموقف القدري الانتظاري الديمقراطي الاشتراكي المنشفـــي ازاء الثورة ، لان هذا الموقف يعتبرها كالفيلم الذي ليس له نهاية . وذا كان الوقت بصورة عامة عاملا مهما في السياسة ، فان زمن الثورة والحرب أكثر أهمية من ذلك مائة مرة . وليس بصحيح ان ما يمكن فعله اليوم ممكن غدا . فاليوم يمكن أن تثور وتقلب العدو وتنتزع منه السلطة ، أما غدا فربما يكون من غير الممكن ، وربما يقع التساؤل : ان أخذ السلطة يعني تغيرا لمجرى التاريخ أيكون من الممكن أن يرتبط مصير حـــدث كهذا بمدى أربع وعشرين ساعة ؟ الجواب نعم ، بكل تأكيد ، ذلك ان الامر عندما يتعلق بالانتفاضة المسلحة فان الاحداث لا تقاس بمعيار السياسة وانما بمعيار الحرب . ان تترك بعض أسابيع تمضي أو بعض أيام وفي أحيان اخرى يـــوم يساوي في بعض الظروف الغاء الثورة الى الاستسلام . فبدون ضغط لينين ونقده وقلقه الثوري ما كان بامكان الحزب — وهـــذا شيء حقيقي — أن يمشي في الخط الذي سار فيه في اللحظة الحاسمة ، اذ كانت المقاومة في الاوساط القيادية العليا قوية جدا . ففي الحرب الاهلية كما في الحرب بشكل عام ، تلعب الاركان العامة دورا هاما .

من الواضح ان اعداد الانتفاضة تحـــت ستار التحضـــير للمؤتمر الثاني لمجالس السوفيات ، وفي ظل شعار الدفاع عنه

قدم لنا خدمات جليلة . كما اننا رفضنا نحن مجلس سوفيات بطرسبورغ أوامر كرنسكي القاضية بارسال ثلثي الحامية الى الجبهة جعلنا نصبح عمليا في حالة عصيان مسلح . الا أن لينين الذي كان خارج بطرسبورغ لم يقدر هذا الامر حق قدره ، وحسب ما أذكر لم يتكلم عنه في رسائله ، ومع ذلك فان مصير انتفاضة ٢٥ اكتوبر تقرر ثلاث ارباعها على الاقلية عندما رفض ارسال حامية بطرسبورغ وشكلنا اللجنة العسكرية الثورية (٧ اكتوبر) وعينا مفوضين في كل الوحدات والمؤسسات العسكرية ، فعزلنا بذلك تماما ليس فقط الاركان العامة لمنطقة بطرسبورغ العسكرية ، وانما أيضا الحكومة . وبالاجمال فقد أصبحنا أمام انتفاضة مسلحة (الا انها من غير دم) لكتائب بطرسبورغ ضد الحكومة المؤقتة بقيادة اللجنة العسكرية الثورية وتحت شعار الاعداد للدفاع عن المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات الذي يجب أن يحل مشكلة السلطة . واذا كان لينين قد نصح ببدء الانتفاضة في موسكو ، حيث كان يعتقد انها مضمونة النجاح هناك دون اراقة دماء ، فلان بعده جعله لا يستطيع ان يقدر التحول الجذري الذي حصل ، ليس فقط في الوضع التنظيمي ، اذ ان كل السلم العسكري بعد الثورة « السلمية » لحامية العاصمة قد تغير في حوالي منتصف اكتوبر . فمنذ ذلك الوقت ، وبأوامر من اللجنة العسكرية الثورية أصبحت الكتائب ترفض الخروج من المدينة . وبذلك أصبح لدينا في العاصمة انتفاضة منتصرة شبه مقنعة (بواسطة الاسمال الاخيرة للديمقراطية البرجوازية) . ولم تكن انتفاضة ٢٥ اكتوبر سوى عمل تكميلي ولذلك كانت غير موجعة ، وعلى عكس ذلك سارت الامور في موسكو ، فبينما كانت سلطة مجلس مفوضي الشعب قد اقامت أعمالها في بطرسبورغ ، طال الصراع في

موسكو وكان اكثر دموية . ومن البديهي ان الانتفاضة لــو بدأت في موسكو قبــل بطرسبورغ لاخذت وقتا أكثر وكــان نجاحها موضع شك ، بالاضافة الى أي فشل تمنى به فــي موسكو كان يعكس آثارا خطيرة على بطرسبورغ ، ومع ذلك فانه من المؤكد انه حتى في ظل مخطط لينين كان النجاح ممكنا ولكن الطريق الذي سارت فيه الحوادث كــان أكثر اقتصادا وفائدة واعطى نصرا أكثر اكتمالا .

لقد كان بامكاننا ان نقرن الى حد ما تسلم السلطة مــع انعقاد المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات لسبب وحيد هــو ان الانتفاضة المسلحة وشبه « الشرعية » ــ على الاقــل في بطرسبورغ ــ كان ثلاثة ارباعها ، ان لم نقل تسعة أعشارها ، قد أصبح شيئا واقعا وشرعيا بالنظر الى ان ازدواجية السلطة كانت في تلك الظروف أمرا « عاديا » ، اذ حدث أكثر من مرة ان راقب مجلس سوفيات بطرسبورغ أعمال الحكومة وعدل من قراراتها حتى على عهد التوفيقيين . ولمــا أصبح لنا نحــن البلاشفة الاغلبية فيــه زدنــا استمرارية تلــك الازدواجية وعمقناها . وأخذنا على عاتقنــا مراقبة ومراجعة الامــر الصادر عن الحكومة المؤقتة والقاضي بارسال الحامية الى الجبهة ، وبذلك غطينا ــ استنادا الى تقاليــد وأساليــب ازدواجية السلطة ــ تمرد حامية بطرسبورغ . واكثر مــن ذلك ، فاننا حين جمعنا في تحريضنا بين قضية السلطة وقضية انعقاد المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات ، كنا ننمي ونعمــق تقاليد الازدواجية تلك ، ونحضر الاطار السوفياتي للانتفاضة في جميع أنحاء روسيا .

وتبنينا شعار النضال من أجــل المؤتمر الثاني لمجــالس

السوفيات لم نكن نمني الجماهير بأوهام دستورية وانما كنا نكسب ونجمع الى جانب قضيتنا قوى الجيش الثوري ، ونجحنا في نفس الوقت اكثر مما كنا نأمل في جر أعدائنا التوفيقيين الى فخ الشرعية السوفياتية . صحيح ان المراوغة في السياسة دائما ذات عواقب خطيرة ، وخاصة ، زمن الثورة ، اذ من الصعب خداع العدو ، بالاضافة الى ان ذلك قد يؤدي الى خطر توجيه الجماهير التي تتبعك نحو وجهة خاطئة ، الا ان « مراوغتنا » نجحت تماما لانها ليست اختراعا مصطنعا من خبير استراتيجي ذكي يريد انهاء الحرب الاهلية ، وانما لانها آتية طبيعية من تحلل النظام التوفيقي ومن تناقضاته الفاضحة . كانت الحكومة المؤقتة تريد التخلص من الحامية ، والجنود يرفضون الذهاب الى الجبهة ، فأعطينا نحن لهذا الشعور الطبيعي تعبيرا سياسيا ، وهدفا ثوريا ، وغطاء « شرعيا » وبهذا ضمنا الاجتماع داخل الحامية ، وربطناها ربطا متينا لعمال بطرسبورغ ، في حين كان اعداؤنا على العكس من ذلك . ففي وضعهم اليائس والمضطرب كانوا يميلون الى التمسك بالشرعية السوفياتية كثمن ناجز . ولما كانوا يريدون الوقوع في الخطأ مكناهم منه .

فجرى بيننا وبينهم صراع من أجل الشرعية السوفياتية ، وقد كانت مواقف الطبقات والفئات المختلفة من مجالس السوفيات كما يلي : البرجوازية لا تزال متشبثة بروما الامبراطورية . الجماهير ترى في مجالس السوفيات مصدر السلطة ، اذ منها تخرج كيرنسكي وتسيريتللي وكوبيلنيف . ونحن ارتبطنا بها ارتباطا حميما بطرحنا شعار كل السلطة للسوفيات . أما التوفيقيون فكانوا على عكسنا الا انهم يريدون اضعاف دورها الى النهاية . ولكن لانهم لا يستطيعون قطع

صلتهم بها لجأوا الى اقامة جسر بينها وبين البرلمانية فدعوا الى المؤتمر الديمقراطي ، وخلقوا البرلمان المؤقت الذي شاركت فيه مجالس السوفيات . وكانوا بذلك يريدون القبض على الثورة من خلال طعم لتقنيتها في مجرى البرلمانية البرجوازية .

الا اننا نحن ايضا كانت لنا مصلحة في استعمال تلك الشرعية . واستطعنا في نهاية المؤتمر الديمقراطي ان ننتزع منه الموافقة على دعوة المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات فأوقعهم ذلك في بلبلة كبرى . اذ انهم من جهة يستطيعون معارضة دعوته دون ان يقطعوا الحبل الذي يشدهم الى الشرعية السوفياتية . ومن جهة اخرى لا ينتظرون من هذا المؤتمر بطبيعة تركيبه اي خير . وقد زاد في بلبلتهم تلك دعايتنا الملحاحة لهذا المؤتمر ، ومناشدتنا الى مساندته وحمايته ضد هجمات الثورة المضادة . وهكذا فاذا كانوا قد امسكوا بنا من خلال الشرعية السوفياتية عن طريق البرلمان المؤقت المنبثق من مجالس السوفيات فاننا بدورنا قبضنا عليهم من خلال تلك الشرعية نفسها عن طريق المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات . ان ننظم انتفاضة مسلحة تحت شعار اخذ السلطة من قبل الحزب فهذا شيء وان نعد ثم نحقق الانتفاضة تحت شعار الدعوة لضرورة الدفاع عن حق مؤتمر مجالس السوفيات ، فهذا شيء آخر .

ونحن اذا ربطنا زمنيا بين أخذ السلطة والمؤتمر الثاني لمجالس السوفيات فانه لم يكن لدينا اي أمل ساذج بان هذا المؤتمر سيستطيع بنفسه حل قضية السلطة . فقد كنا بعيدين تماما عن مثل هذه العبادة للشكل السوفياتي . فنحن وجهنا

نشاطنا للعمل الضروري في الميادين السياسية والتنظيمية والعسكرية للاستيلاء على السلطة . ولم تكن اشارتنا الى ان المؤتمر المقبل هو الذي سيقرر قضية السلطة سوى غطاء شرعي لعملنا .

فكنا ونحن نهاجم على طول الخط ، نبدزو وكأننا ندافع . في حين كانت الحكومة المؤقتة لو ارادت الدفاع عن نفسها جديا لوجب عليها ان تحظر عقد مؤتمر مجالس السوفيات . ولكن قيامها بمثل هذا العمل يعطي مرة اخرى لخصمها مبررا أقوى للانتفاض ، بل اكثر من ذلك فنحن لم نضع الحكومة المؤقتة في موقف سياسي محرج فقط وانما أيضا حذرناها .

لقد كان اعضاء الحكومة يعتقدون جديا ، بان ما نريده انما هو البرلمانية السوفياتية ، وان ما نريده من مؤتمر مجالس السوفيات هو قرارات حول السلطة كتلك القرارات التي اتخذها كل من مجلسي سوفيات بطرسبورغ وموسكو في الماضي . وبعد ذلك تحيلها الحكومة الى البرلمان المؤقت ثم الى الجمعية التأسيسية المقبلة ، وتقدم لنا انحناءة حبية ثم تضعنا في موقف مضحك. ذلك هو تفكير البرجوازيين الصغار الاكثر معقولية . ولدينا على ذلك دليل لا جدال فيه في شهادة كرنسكي .

ففي مذكراته يحكي عن مناقشة وقعت بينه وبين دان Dan ليلة ٢٤ ــ ٢٥ اكتوبر حول موضوع الانتفاضة التي كانت تسير على اشدها . يقول : « صرح ليدان أول ما صرح بأنه اكثر اطلاعا مني واني ابالغ في الحوادث تحت تأثير اتصالات الاركان العامة الرجعية بي . ثم اكد لي بأن قرار

اغلبية السوفيات ، الذي لن يكون مستحبا « بالنسبة لذات الحكومة » سوف يساهم دون جدال في احداث تحول في أذهان الجماهير لصالح الحكومة . وان مفعوله منذ الان يمكن الاحساس به ، وان تأثير الدعاية البلشفية سوف « ينزل بسرعة » .

« ومن جهة اخرى — حسب رأيه — فان البلاشفة في محادثاتهم مع الاغلبية السوفياتية أعلنوا انهم مستعدون « لان يكونوا تحت ارادة اغلبية السوفيات » ومستعدون لان يأخذوا « ابتداء من غد كل الاجراءات الكفيلة بخنق الانتفاضة « التي انفجرت عكس رغبتهم وبدون قرار منه » . ثم أضاف دان بأن البلاشفة « ابتداء من غد » (غدا الى الابد !) سوف يصرفون اركانهم العامة العسكرية . ويستنتج من ذلك ان كل الاجراءات التي اتخذتها الانتفاضة لن يكون لها مردود سوى « دفع الجماهير الى اليأس.» وانني « بخلقي » هذا لا افعل سوى « منع ممثلي الاغلبية السوفياتية من النجاح في محادثاتهم مع البلاشفة للقضاء على الانتفاضة » .

« وفي هذا الوقت الذي كان يجري فيه معي دان هذه المكالمة كانت الفرقة المسلحة للحرس الاحمر تحتل المباني الحكومية واحدة اثر الاخرى . وبعد قليل من مغادرة دان ورفاقه قصر الشتاء ، وقع ايقاف وزير الديانات كارتاشيف Cartachev فوق المليونايا واقتديدا وسمونللي حيث رجع دان ليواصل محادثاته مع البلاشفة . يجب ان نعترف بأن البلاشفة كانوا في ذلك الحين يعملون بطاقة كبيرة وبمهارة تامة . ففي حين كانت الانتفاضة على أشدها في المدينة و «الحرس الاحمر» يقوم بالعمليات في جميع انحاء المدينة كان بعض الزعماء البلاشفة المعينين خصوصا لهذه المهمة يجهدون انفسهم بنجاح

في المساومة مع ممثلي « الديمقراطية الثورية » . وقضى هؤلاء المخادعون الليلة كلها يناقشون بدون نهاية الصيغ التي يجب — حسب قولهم — ان تتخذ كقاعدة للمصالحة وتجميد الانتفاضة . وبواسطة هذا الاسلوب من « المحادثات » كسب البلاشفة وقتا ثمينا جدا بالنسبة لهم وبقيت القوات المقاتلة التابعة للاشتراكيين الثوريين والمناشفة بلا تحرك في الوقت المناسب وهذا ما يجب ايضاحه ! » (اكرنسكي من بعيد) .

انما يجب ايضاحه حقا ، هو ان التوفيقيين — كما رأينا — تركوا أنفسهم يقعون تماما في فخ الشرعية السوفياتية . أما ما يقوله كيرنسكي من أن بعض البلاشفة كانوا معينين لمهمة ايقاع المناشفة والاشتراكيين الثوريين في وهم التجميد المقبل للانتفاضة ، فهو غير صحيح . ذلك ان البلاشفة الذين اشتركوا في المحادثاتكانوا يريدون فعلا تجميد الانتفاضة وتكوين حكومة اشتراكية تستند الى اتفاق بين الاحزاب . هذه المحادثات أدت موضوعيا بعض الخدمة للانتفاضة بتغذية اوهام العدو باوهام اولئك البلاشفة ، وما كان لها ان تؤدي هذه الخدمة لولا ان الحزب رغما عن نصائحهم وانذاراتهم قاد وأكمل الانتفاضة بطاقة لا تمل .

ان نجاح هذه المناورة العريضة التي استعملت كغطاء كان يستلزم توفر ظروف استثنائية عديدة ، منها الكبير ومنها الصغير . ولكن الذي يجب توفره قبل كل شيء هو وجود جيش لا يريد القتال ، ذلك ان تطور الثورة وخاصة في الفترة الاولى بما فيها شباط — فيفري — واكتوبر كان يأخذ وجها آخر لو أنه لم يكن لدينا زمن الثورة جيش فلاحي ، منهزم ومتذمر ، يتكون من ملايين عديدة من البشر . ان توفر تلك

الظروف وحده هو الذي اعطانا مع حامية بطرسبورغ الامكانية الناجعـــة لتحقيق التجربـــة التي قضت مسبقـــا بانتصـــار اكتوبر . وليس هناك مجال لتعميم التجربة التي وقع فيهـــا الجمع بين انتفاضة هادئة تكاد تكون غير منظورة وبين الدفاع عن الشرعية السوفياتية ضد الكورنيلوفيس وصياغتها في قانون عام . بل على العكس من ذلك يمكن التأكيد بأن هذه التجربة لا يمكن تكرارها في اي مكان بهذه الصورة. الا انه من الضروري دراستها باهتمام لان دراستها توسع في افق كل ثوري وتكشف له اختلاف الاساليب والوسائل المتغيرة التي يقع تطبيقها فـــي النشاط العملي . ولكن بشرط أن يتم تحديد هدف واضح ، وتقييم صاف للوضعية ، وتتوفر الارادة للقيـــام بالنضال حتى النهايـــة .

أما في موسكو فان الانتفاضة تمت جملة واحدة مما جعلها تمتد وقتا طويلا وتتسبب في سقوط عدد من الضحايا . وسبب ذلك ان الحامية هنالك لم تتلق اعـــدادا ثوريا كالذي حصـــل لحامية بطرسبورغ (ارسلت افواج الى الجبهة) ، بالاضافة الى نقص الحزم عند القيادة . فقد حدث مرات عـــديدة ان توقفت العمليات الحربية بهدف اجـــراء مفاوضات لتستأنف . واذا كان تردد القيادة الى الحد الذي يشعر به الجنـــود ، على العموم مضرا في السياسة ، فانه يصبح خطرا قاتلا فـــي الانتفاضة . اذ ان الطبقة الحاكمة في هذا الوقت رغم كونها تكون قد فقدت ثقتها بنفسها ، الا انه لا يزال بيدها جهـــاز الحكم ، واذا كان للطبقة الثائرة مهمة الاستيلاء على جهـــاز الدولة فانه يتحتم عليها بأن يكون لها ثقة في قواها الذاتية . وما دام الحزب قد جر الشغالين الى طريق الانتفاضة فيجب عليه أن يستخلص كل النتائج المترتبة على ذلك . ففي الحرب

لا يمكن تحمل الترددات . كما ان الابطاء والمواربة رغم كونهما يرجعان جزئيا الى فقدان القياديين الثقة بأنفسهم ، خلال ساعات فقط الا انهما يسلبان المنتقضين جزءا من ثباتهم ، في حين ان تلك الثقة وذلك الثبات هما اللذان يقرران نسبة القوى ، وبالتالي تتجه الانتفاضة . فمن هذه الزاوية يجب دراسة العمليات العسكرية في موسكو خطوة خطوة في حال اقترانها بالقيادة السياسية .

وسوف يكون من المهم جدا الاشارة الى بعض النقاط التي تجري فيها الحرب الاهلية في ظروف خاصة (عندما تختلط بالعامل القومي) ، ان دراسة من هذا القبيل تمكننا من اغناء معرفتنا بآلية الحزب الاهلية (١) . كانت الحرب الاهلية في الاقاليم تقررها دائما نتيجتها في بطرسبورغ رغم كونها كانت تأخذ مدى طويلا في موسكو . لان ثورة شباط ــ فيفري أضرت اضرارا بالغا بجهاز الدولة القديم . والحكومة المؤقتة التي ورثت هذا الجهاز كانت عاجزة عن تجديده أو تقويته ، فكان يسير في أثناء فترة شباط ــ فيفري ــ اكتوبر بقوة الروتين البيروقراطي فقط . واذا اعتادت الاقاليم ان تنضم الى بطرسبورغ : كما فعلت ذلك في شباط ــ فيفري فقد جددته في اكتوبر . والامتياز الكبير الذي كان لدينا هو اننا كنا نعد لقلب نظام لم يكن له بعض الوقت ليأخذ شكله النهائي . كما ان عدم استقرار جهاز الدولة الى حد بعيد ، وفقدانه ثقته بنفسه سهل لنا بحد ذاته عملنا في الابقاء على ثبات الجماهير الثورية وثبات الحزب نفسه .

---

١ ــ انظر : تروتسكي : قضايا الحرب الأهلية ، برافدا ، ٦ أيلول سبتمبر ــ ١٩٢٤ .

وقد حدث في المانيا والنمسا وضع مشابه في ٩ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩١٨ . الا ان الاشتراكية الديمقراطية قامت بسد ثغرات جهاز الدولة ، وساعدت على ابقاء النظام البرجوازي الجمهوري ، ورغم ان هذا النظام لا يمكن القول انه نموذج للاستقرار ، الا انه مع ذلك له من العمر الان ست سنوات . اما في البلدان الرأسمالية الاخرى فلم تكن لها مزية التقارب الزمني بين الثورة البرجوازية والثورة البروليتارية اذ انجزت ثورتها البرجوازية ، بالتأكيد ، لا يزال في انكلترا بعض البقايا الاقطاعية الا انه لا يمكن الكلام عن ثورة برجوازية مستقلة . وبمجرد ان تأخذ البروليتاريا الانكليزية الحكم سوف تسدد ضربة اولى الى الملكية لتنظف البلاد منها ومن اللوردات . ان الثورة البروليتارية في الغرب لها مصلحة في وجود دولة برجوازية استكملت شكلها . الا ان ذلك لا يعني ان لها مصلحة في دولة مستقرة : اذ ان امكانية الثورة تتطلب انحلالا كافيا للدولة الرأسمالية . واذا كانت ثورة اكتوبر عندنا نضالا ضد جهاز الدولة لم يكن له الوقت الكافي ليأخذ شكله النهائي بعد شباط — فيفري فان الانتفاضة في البلدان الاخرى سيكون أمامها جهاز دولة في حالة تفسخ تدريجي .

وكما أشرنا في المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية ، فان القاعدة العامة هي ان نتوقع مقاومة اكبر من البرجوازية في البلدان الرأسمالية القديمة مما حدث عندنا . وسيكون من الصعب على البروليتاريا ان تنتصر في هذه البلدان ، ولكنها اذا انتصرت واستولت على السلطة فستتمكن من الوصول الى وضع أشد وأكثر استقرارا مما كان عندنا بعد اكتوبر . فعندنا لم تكبر الحرب الاهلية الا بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة في اهم المراكز المدنية والصناعية . ولم تستغرق

السنوات الثلاث الاولى من عمر السلطة السوفياتية الا بعد ذلك الحين . هنالك عـــدة أسبـــاب تدعو الى الاعتقـــاد بأن البروليتاريا في أوروبـــا الوسطى والغربية سيكون من الاشق عليها الاستيلاء على السلطة ، الا انها في مقابل ذلك ستكـــون مطلقة اليدين بعد أخذها أكثر مما كنا نحن . وبالطبع فان هذه التصورات للظروف مشروطة بعدة أمور ، لان نتيجة الحوادث راجعة لحد بعيد الى الترتيب الذي ستحدث فيه الثـــورة فـــي مختلف البلدان الاوروبية ، والى امكانية التدخل العسكري ، ومدى القوة الاقتصادية والعسكرية للاتحاد السوفياتي في ذلك الوقت . وعلى اية حال فان الشيء المحتمل هو ان يصادف استيلاء البروليتاريا في امريكا وأوروبا على السلطة مقاومـــة اكثر جدية واحتداما وتنظيما من قبل الطبقات الحاكمة مما كان عندنا ، ولذلك يجب علينا ان نعتبر الانتفاضة المسلحة والحرب الاهلية فناً .

السوفيات والحزب

في الثورة البروليتاريـــة

نبعت مجالس السوفيات لمندوبي العمال عندنا سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٧ من الحركة الثورية نفسها باعتبارها شكلا تنظيميا لها في درجة معينة مـــن مستوى النضال . ولكـــن الاحزاب الاوروبية الفتية التي اعتبرت مجالس السوفيات « كعقيدة » أو « كمبدأ » تتعرض لخطر فكرة فتيشية تعتبر ان السوفيـــات عامل من عوامل الثورة الذي له استقلاله الذاتي الخاص . الا ان الحقيقة غــير ذلك ، فرغم الفائـــدة الكبرى التي تمثلهـــا السوفيات باعتبارها منظمة نضال من أجل السلطة الا انـــه من الممكن تماما ان تنمو الانتفاضة وتتطور على أساس تنظيمي آخر (لجان المصانع ـــ نقابات) وبالتالي لا تظهر السوفيـــات باعتبارها أداة سلطة الا اثناء الانتفاضة او بعد انتصارها .

ومن المفيد جدا بهذا الصدد معرفة النضال الذي شنه لينين بعد أيام تموز ـــ جويلية ـــ ضد الفتسيشية السوفياتية ، فقد أصبحت مجالس السوفيات التي يسيطر على الاغلبية فيهـــا الاشتراكيون الثوريون والمناشفة في شهر تموز ـــ جويلية ـــ منظمات تدفع الجنود علنا الى الهجوم كما تقوم باضطهـــاد البلاشفة ، ولذلك وجب على الحركة الثورية لجماهير العمال ان

تبحث وتجد طرقا اخرى وقد اقترح لينين لجان المصانع لتكون منظمات للنضال من أجل السلطة وكان من المحتمل جدا أن تسير الحركة الثورية في هذا السبيل لو لم يحدث عصيان كورنيلوف الذي أجبر مجالس السوفيات التوفيقية على الدفاع عن نفسها . وأتاح بذلك مرة اخرى للبلاشفة ان يعطوها نفسا ثوريا يربطها بالجماهير ربطا حميما .

ان هذه القضية كما ابانتها تجربة المانيا لها أهمية أهمية بالغة . ففي هذا البلد تكونت مجالس السوفيات عدة مرات على اعتبار انها ادوات للانتفاضة ، وعلى اعتبار انها ادوات سلطة لا تملك السلطة . فكانت النتيجة ان حركة الجماهير البروليتارية والنصف البروليتارية سنة ١٩٢٤ ، بدأت تلتف حول لجان المصانع التي كانت في الجوهر تقوم بنفس الدور الذي قامت به مجالس السوفيات عندنا في الفترة السابقة للنضال المباشر من أجل السلطة . ومع ذلك طرح بعض الرفاق في آب — اوت — وأيلول — سبتمبر — البدء حالا في المانيا بانشاء مجالس سوفياتية الا ان اقتراحهم هذا رفض بعد نقاش طويل وحاد . وكان الرفض صائبا ، ذلك انه ما دامت لجان المصانع قد أصبحت عمليا نقاط تجمع للجماهير الثورية فان مجالس السوفياتية في فترة الاعداد ستلعب دورا موازيا للجان المصانع وبالتالي سوف تكون شكلا خاليا من كل محتوى . ولا يكون لها من مفعول سوى شغل الاذهان عن المهام المادية للانتفاضة (الجيش ، الشرطة ، الفرق المئوية Centuries السكك الحديدية الخ ...) وتوجيهها نحو اشكال تنظيمية ذات استقلال ذاتي ، ومن جهة اخرى فان انشاء مجالس سوفياتية قبل الانتفاضة سوف تكون كاعلان للحرب لم يتبع باجراءات عملية . واذا كانت الحكومة قد اجبرت على التسامح

مع لجان المصانع لانها لفت حولها جماهير كبيرة ، فانها سوف تضرب المجالس السوفياتية الاولى على اعتبار انهـا أدوات رسمية تسعى للاستيلاء على السلطة . وسوف يضطر الحزب الشيوعي للدفاع عن تلك المجالس بوصفها منظمات لا اكثر ولا اقل . وهكذا سوف لا يكون للصراع الحاسم هدف اتخاذ أو الدفاع عن موقف مادي وسوف يجري في وقت لم نختره نحن ، وانى تكون الانتفاضة قد أخذت مجراها بحكم الضرورة من حركة الجماهير وانفجرت بسبب شكل تنظيمي هو مجالس السوفيات في وقت اختاره العدو من العالمية ان العمل التحضيري للانتفاضة كان بامكانه ان يرتبط بنجاح مع الشكل التنظيمي للجان المصانع التي أخذت الوقت الكافي لتصبح المنظمات الجماهيرية النامية ، وتترك أيدي الحزب طليقة في تحديد تاريخ الانتفاضة . لا ريب انه خلال مرحلة من المراحل لا بد أن تظهر مجالس السوفيات ، الا أنه من المشكوك فيه ، ضمن الظروف التي سنأتي على ذكرها أن تظهر زمن احتدام الصراع كأدوات مباشرة للانتفاضة . اذ يترتب على ذلك أن توجد في الوقت الحرج ازدواجية في القيادة الثورية ، وكما يقول المثل الانكليزي : لا تستبدل فرسك عندما تعبر النهر . ومن الممكن بعد حصول النصر في المدن الرئيسية أن تبدأ مجالس السوفيات بالظهور في جميع أنحاء البلاد . ومهما يكن من أمر فان الانتفاضة . المنتصرة سوف تثير حتما مسألة تكوين مجالس السوفيات باعتبارها أداة للسلطة .

يجب أن لا ننسى ان مجالس السوفيات عندنا قد ولدت أثناء المرحلة « الديمقراطية » للثورة ، وأخذت صفة شرعية ما ، ثم ورثناها واستعملناها . ولن يكون الامر كذلك في الثورة البروليتارية في الغرب . فهنا في أغلب الحالات سوف

تتكون مجالس السوفيات تحت دعـوة الاحزاب الشيوعيـة لتصبح بالتالي أدوات مباشرة للانتفاضة البروليتارية ، وليس من المستحيل طبعا أن يصبح اختلال الدولة البرجوازية قويا قبل أن تستولي البروليتاريا علـى السلطة ، الامر الـذي يسمح بتكوين مجالس سوفياتية تكون أدوات معلنة للتحضير للانتفاضة . ولكـن هناك حظا قليـلا لكي يصبح ذلـك هو القاعدة . ان الحالة الاكثر حدوثا هي تلك التي لا تنشأ فيها مجالس السوفيات الا في آخر يوم لكي تصبح أدوات مباشرة للجماهير المستعدة للانتفاضة ، ومع ذلك فهناك حالة أخيرة ممكنة وهي تلك التي تنشأ فيها مجالس السوفيات بعد اللحظة الحرجة للانتفاضة او حتى بعد انتصارها كأدوات للسلطـة الجديدة . يجب علينا أن نضع أمامنا جيدا كـل هذه الاحتمالات لكي لا نقع في القدسية التنظيمية Fetichisme d'organisation

ونحـول السوفيات في شكـل مرن حسي للنضـال الـى « مبدأ » تنظيمي مفروض مـن الخارج على الحركة يعيـق تطورها المنتظم .

أخيرا وقعت التصريح في جرائدنا لاننا لا نعرف الباب الذي ستأتي منه الثورة البروليتارية في بريطانيا : مـن الحـزب الشيوعي أو من النقابات ، من غير الممكن اتخاذ قرار بشأن أحدهما . ان طرح المسألة بهذه الصورة خاطىء وخطير لانه يحجب عن الانظار الدرس الرئيسي للسنوات الاخيرة ، ذلك انه اذا لم تكن هناك ثورة منتصرة في أعقاب الحرب فان ذلك راجع الى عدم وجود حزب وهذه الملاحظة تنطبق على أوروبا كلها ويمكننا أن نتأكد من صحتها اذا تتبعنا الحركة الثوريـة خطوة خطوة في مختلف البلدان . ففي المانيا كان من الواضح ان الثورة كان في امكانها أن تنتصر سنة ١٩١٨ و١٩١٩ ، لو

ان الجماهير اقتيدت كما يجب من قبل الحزب . كما اظهر مثال فنلنده سنة ١٩١٧ بأن الحركة الثورية تطورت في ظروف مؤاتية للغاية تحت الغطاء والمساعدة العسكرية المباشرة لروسيا السوفياتية ، ولكن اغلبية قيادة الحزب الفنلندي كانت اشتراكية ديمقراطية فأفشلت الثورة . وهذا الدرس لا يبدو أقل وضوحا في التجربة الهنغارية . فهذا البلد لم يغتصب فيه الشيوعيون المتحالفون مع يسار الاشتراكية الديمقراطية السلطة وانما استلموها استلاما من أيدي البرجوازية المذعورة . ان الثورة الهنغارية الظافرة بدون قتال وجدت نفسها منذ البداية محرومة من قيادة مقاتلة . فالحزب الشيوعي اندمج مع الحزب الديمقراطي ـ الاشتراكي وأظهر بذلك انه هو نفسه ليس شيوعيا حقيقيا . وبناء على ذلك لم يستطع رغم النفسية المقاتلة للبروليتاريين الهنغار أن يحافظوا على السلطة التي حصل عليها بسهولة . ان الثورة البروليتارية لا يمكن أن تنتصر بدون حزب ، ذلك أهم درس لقنته لنا السنوات الاخيرة . ان النقابات الانكليزية يمكن أن تكون ـ وهذا صحيح ـ عمدة قوية للثورة البروليتارية ، وبامكانها في ظل شروط معينة وخلال فترة خاصة أن تحل محل مجالس السوفيات العمالية ولكنها لا يمكن أن تكون كذلك من غير الحزب الشيوعي أو اذا كانت ضده . انما لا تستطيع أن تلعب هذا الدور الا اذا أصبح نفوذ الحزب الشيوعي فيها غالبا . ان هذا الدرس المتعلق بأهمية الحزب في الثورة البروليتارية دفعنا ثمنه غاليا جدا ليبقى حاضرا في أذهاننا بتمامه .

في الثورة البرجوازية يلعب الوعي والاعداد والاسلوب دورا أقل أهمية مما تلعبه هذه الامور الآن أو مدعوة للعبه في

الثورة البروليتارية . صحيح ان القوة المحركة في الثورة البرجوازية كانت أيضا الجماهير ولكنها كانت أقل وعيا وتنظيما مما هي الآن . وقد كانت القيادة في أيدي مختلف اقسام البرجوازية التي كانت تملك الثورة والتعليم والتنظيم (البلديات ـ الجامعات ـ الصحافة الخ ..) ولما كانت الملكية البيروقراطية تدافع عن نفسها بوسائل عشوائية وحسبما تسمح به الظروف ، فان البرجوازية تبقى مترصدة لتختار الوقت المناسب ـ مستغلة الحركة الجماهيرية الشعبية ـ لتلقي بكل ثقلها الاجتماعي في كفة الميزان وتستولي على الحكم . وأما في الثورة البروليتارية ، فان البروليتاريا ليست فقط القوة الرئيسية المقاتلة وانما أيضا ممثلة في طليعتها القوة القائدة . ان الحزب البروليتاري وحده الذي يستطيع في الثورة البروليتارية أن يلعب الدور الذي لعبته قوة البرجوازية بتعليمها وببلدياتها وجامعاتها في الثورة البرجوازية . وسيكبر دور الحزب بقدر نمو الوعي الطبقي عند العدو . فالبرجوازية في السنوات الاخيرة من سيطرتها اقامت مدرسة ذات مستوى أرفع بما لا يقاس مما كان لدى الملكية البيروقراطية . واذا كانت البرلمانية بالنسبة للبروليتاريا مدرسة الى حد ما لاعداد الثورة فهي بالنسبة للبرجوازية وعلى نطاق أوسع مدرسة للاستراتيجية المضادة للثورة . ويكفي أن نعلم ان البرجوازية بواسطة البرلمانية أخرجت الاشتراكية ـ الديمقراطية التي هي اليوم اقوى ملجأ للملكية الفردية . ان عهد الثورة الاجتماعية في أوروبا كما أبانت التجارب الاولى سيكون ليس فقط عهد قتال لا هوادة فيه ، انما سيكون أكثر ثباتا بكثير مما كان عندنا سنة ١٩١٧ .

ولذلك كله يجب علينا أن نتناول بالدرس اكثر مما نفعل

الآن مسائل الحرب الاهلية ، وخاصة منها الانتفاضة . نحن نردد وراء لينين كلمات ماركس « الانتفاضة فن » ولكن يبقى هذا الترديد كلاما أجوف اذا لم ندرس العناصر الاساسية لفن الحرب الاهلية على ضوء التجربة الواسعة التي تجمعت لدينا في هذه السنوات الاخيرة ، يجب أن نقول صراحة بأن عدم مبالاتنا تجاه مسائل الانتفاضة المسلحة تشهد على مدى القوة الكبيرة التي تحتفظ بها التقاليد الاشتراكية — الديمقراطية داخل صفوفنا . ان الحزب الذي ينظر نظرة سطحية الى مسائل الحرب الاهلية تحت الامل بأن الامور ستسوى من نفسها في الوقت الضروري سوف يكابد على التأكيد هزيمة منكرة . يجب أن تدرس جماعيا وان تهضم تجربة المعارك البروليتارية ابتداء من سنة ١٩١٧ .

* * *

وان تاريخ كتل حزبنا سنة ١٩١٧ الذي مررنا على ذكره يمثل جزءا أساسيا من تجربة الحرب الاهلية وله أهمية مباشرة في سياسة الامية الشيوعية ، وقد قلنا ونعيد القول : بأن دراسة خلافات وجهات نظرنا لا يمكن ويجب أن لا تعتبر بأي حال من الاحوال موجهة ضد اولئك الرفاق الذين أتبعوا سياسة خاطئة . ومن جهة أخرى يكون من غير المقبول أن يشطب من تاريخ الحزب فصل من أهم فصوله لسبب وحيد هو أن كل أعضاء الحزب لم يسيروا جميعا متساوين جنبا لجنب مع الثورة البروليتارية . ان الحزب يستطيع ، ويجب ، أن يعرف كل ماضيه ليقيمه كما يجب ، ويضع كل شيء في نصابه . ان تقاليد حزب ثوري ما لا ترسى من خلال التكتمات وانما من خلال الوضوح النقدي .

ان التاريخ قد أعطى حزبنا مزايا ثورية لا مثيل لهـا ، فقد أعطاه تقاليد نضالية بطولية ضد القيصرية ، وعادات واساليب ثورية استمدها من ظروف العمل السري وصياغة نظريتـه للتجربة الثورية الانسانية بكاملها ، ونضالا ضد المنشفيـة وضد التيار النارودنيكي ، وضد التوفيقية ، وتجربة ثـورة ١٩٠٥ ، وصياغة تجربتها نظريا خلال سني الثورة المضادة . وكشفا لمشاكل الحركة العمالية العالمية مـن خلال دروس ١٩٠٥ . وهذا في مجموعه هو الذي أعطى حزبنا صلابـة نادرة ووضوحا عاليا ، ومستوى ثوريا رفيعا ليس له مثيل ، ومع ذلك ففي هذا الحزب الذي أعد جيدا ، أو بالاحرى في أوساطه القائدة تشكـل في اللحظات الحاسمة فريق مـن البلاشفة القدامى الثوريين وذوي التجربة يعارض معارضـة شديدة الانتفاضة البروليتارية ويتخذ مواقف اشتراكيـة ـــ ديمقراطية تجاه القضايا الجوهرية ، طوال الفترة الحرجـة التي مرت بها الثورة ابتداء من ١٩١٧ الى شباط ـــ فيفري ـــ ١٩١٨ . ولم يحم الحزب والثورة من نتائج تلك الوضعية سوى نفوذ لينين الاستثنائي داخل الحزب . والامر الذي يجب أن لا ينسى اذا كنا نريد أن تتعلم الاحزاب الشيوعية في البلدان الاخرى شيئا من مدرستنا هـو أن قضية انتقاء الاشخاص القياديين لها في أحزاب أوروبا الغربية أهمية استثنائية وهو ما توضحه بالذات تجربة الفشل الـذريع الذي حصل فـي المانيا ، اكتوبر ١٩٢٣ ، بالاضافة الى التجـارب الاخرى . وهذا الانتقاء يجب أن يتم وفق مبدأ **النشاط الثوري** ... وقد كان لنا في المانيا مناسبات كافية برهنت على قيمة قادة الحزب في أوقات النضال المباشر ، وبدون هذا البرهان تبقى جميع المقاييس غير اكيدة . وفي السنوات الاخيرة كانت فرنسا اقل البلدان مسرحا للاضطرابات الثورية حتى المحدود منها . ومع

ذلك فان بعض الانفجارات الخفيفة حدثت عندما قررت اللجنة القيادية للحزب وقادة النقابات مواجهة بعض القضايا الخطيرة والهامة (مثال ذلك : الاجتماع الدموي يوم ١١ كانون الثاني ــ جانفي ــ ١٩٢٤) ، ان دراسة مثل هذه الحادثة دراسة دقيقة تمدنا بمعطيات ذات أهمية لتقييم القيمة الحقيقية لقيادة الحزب ولمسلك زعمائه ومختلف أجهزته . ان عدم الاخذ بهذا المقياس بانتقاء الرجال معناه السير حتما نحو الهزيمة ، اذ بدون قيادة ذكية حازمة وشجاعة للحزب لا يمكن كسب النصر للثورة البروليتارية .

ان كل الاحزاب حتى أكثرها ثورية تضع لنفسها لا محالة محافظتها التنظيمية Conservatisme d'orqhnishtisn والا فقدت استقرارها ، الا أن الفرق بين تلك الاحزاب هو فرق في الدرجة فقط . وفي الحزب الثوري يجب أن يقترن مقدار المحافظة (Dose) الضروري مع التخلص التام من الروتين ، ومع مرونة التوجيه ، والشجاعة الفعالة . ويقع التأكد الافضل من هذه الخصال في المنعطفات التاريخية . وقد رأينا فيما سبق لينين يقول بان الاحزاب في أغلب الاوقات حتى أكثرها ثورية ، عندما يحدث تغيير مفاجىء في الوضعية وبالتالي في المهام تستمر في اتباع خطها القديم وبذلك تنقلب الى كابح للتطور الثوري . والمحافظة في حزب ما كما هي مبادراته الثورية ، تجد تعبيرها الاكثر كثافة في أجهزته القيادية . ان الاحزاب الشيوعية الاوروبية ما زال عليها أن تحشر بمنعطفاتها الاكثر مفاجأة وهو الوقت الذي تنتقل فيه من العمل الاعدادي الى اخذ السلطة ، فهذا المنعطف يتطلب خصالا أكثر ، ويفرض مسؤوليات أكبر باعتباره الاكثر خطورة. ان ترك الاوان يفوت معناه بالنسبة للحزب اكبر نكبة يمكن

أن تصيبه .

اذا نظرنا الى تجارب المعارك في أوروبا في السنوات الاخيرة وخاصة في المانيا ومن خلال تجربتنا نحن ، فاننا نلاحظ نوعين من القادة الذين يميلون الى جر الحزب للوراء في الوقت الذي يجب أن يحقق فيه أكبر قفزة الى الامام . فأحد ذلك النوعين لا يرى بشكل رئيسي الا الصعوبات والعوائق ، ولذلك تكون نتيجة تقديره للأمور هي الهروب من العمل . والماركسية لدى هذا النوع تصبح أسلوبا صالحا للبرهنة على استحالة العمل الثوري . والمناشفة الروس يمثلون العينية الاكثر تجسيدا لهذا النوع من القادة . الا انه لا ينحصر فيهم ، ويظهر في الاوقات الحرجة في الاحزاب الاكثر ثورية وبين المناضلين الذين يحتلون أكبر المراكز رفعة . أما ممثلو النوع الاخر فهم اولئك المحرضون السطحيون الذين لا يرون العراقيل الا حين تصطدم بها جباههم . واذا أرادوا تجنبها لجأوا عادة الى الشعوذة اللفظية . أما تفاؤلهم المتطرف تجاه كل القضايا فينقلب دائما الى ضعف والى تشاؤم عندما تحين لحظة الحسم . أما بالنسبة للنوع الاول الثوري الركيك ، القانع ، فان مصاعب الاستيلاء على السلطة تصبح في عينيه تجمعا وتكاثرا لكل المشاكل التي اعتاد أن يراها في طريقه ، في حين ان النوع الثاني المتفائل السطحي تبرز أمامه مصاعب العمل الثوري دائما فجأة . وهذان النوعان يختلف سلوكهما أثناء فترة الاعداد ، فيبدو الاول كأنه عنصر تثبيط لا يمكن الاعتماد عليه من وجهة نظر ثورية ، في حين يظهر الثاني على عكس الاول كأنه ثوري شديد الشكيمة الا انهما في اللحظات الحاسمة يسيران جنبا الى جنب واليد في اليد ليعارضا الانتفاضة ، مع العلم ان كل العمل التحضيري ليس له من

قيمة اذا لم يجعل الحزب ، وخاصة ، هيئاته القيادية قادرة على تحديد وقت الانتفاضة وقيادتها ، اذ أن مهمة الحـــزب الشيوعي هي الاستيلاء على السلطة بفرض اعادة تشكيـــل المجتمع .

وفي المدة الاخيرة جرى الحديث مرات عديدة قولا وكتابة عن ضرورة بلشفة الاممية الشيوعية باعتبارها مهمة عاجلة لا محيد عنها ، خاصة وان تلك الضرورة بدت للعيـــان قاهرة بعـــد الدروس المريرة التـــي حدثت في بلغاريا والمانيـــا في السنة الماضية . ان البلشفية ليست نظرية (أي ليست فقط نظرية) وانما هي نظام Systeme تثقيـــف للثوريين من أجـــل تثقيف الثورة البروليتارية . وما معنـــى بلشفة الاحـــزاب الشيوعية اذا لم يكـــن تثقيفها وانتقـــاء القياديين من بـــين صفوفها ، بحيث لا تولي الادبار حين تحين ثورتها الاكتوبرية ؟

كلمتان حول هـــذا الكتـــاب

ان المرحلة الاولى من الثورة « الديمقراطية » تبدأ من ثورة شباط — فيفري — وتنتهي بأزمة نيسان — افريل — وحل تلك الازمة يوم ٦ أيار — ماي — بواسطة تكوين حكومـــة ائتلافية اشترك فيهـــا المناشفة والنارودنيكيون . ومـــؤلف هذا الكتاب لم يشترك في احداث هذه المرحلة الاولى اذ لـــم يحضر الى بطرسبورغ الا يوم ٥ أيار — ماي — عشية تكوين الحكومة الائتلافية . وقد شرحت المرحلة الاولى من الثورة واوضحت آفاقها في مقالات كتبت في اميركا ، واعتقد ان جوهر مضمونها يتفق مع التحليل الذي أعطاه لينين **في رسائله مـــن بعيـــد** .

ومنذ اول يوم لوصولي الى بطرسبورغ اشتغلت باتفاق تام مع اللجنة المركزية للبلاشفة ، ومن البديهي اني كنت مؤيدا تماما لنظرية لينين حول استيلاء البروليتاريا على السلطة . وفيما يخص الفلاحين لم يكن لي أدنى ظل للخلاف بيني وبينهم . وفي هذا الوقت ، كان قد أتم المرحلة الاولى من نضاله ضـــد البلاشفة اليمينيين الذين كانوا يرفعون شعار « الديكتاتورية الديمقراطية للبروليتاريا والفلاحين » . والى حين اشتراكي الشكلي في الحزب ، ساهمت في سلسلة من القرارات والوثائق التي تحمل طابع الحـــزب . والسبب الوحيد الذي اجـــل

اشتراكي فيه ثلاثة أشهر هو رغبتي في الاسراع بانجاز اندماج البلاشفة مع أحسن عناصر منظمة interrhyonistes وبشكل عام مع الثوريين الامميين . وقد باشرت هذا العمل بالاتفاق التام مع لينين .

وقد لفت تحليل هذا الكتاب انتباهي حول جملة وردت في احدى مقالاتي التي دعوت فيها للاندماج في ذلك الحين وهي الجملة التي أشرت فيها من الناحية التنظيمية الى « التفكير الحلقي الضيق » للبلاشفة ، الامر الذي دعا مباشرة بعض المفكرين العميقين مثل سورين Sorine الى ربط هذه الجملة بالخلافات التي دارت حول البند الاول من النظام الداخلي ، واني لا أرى ضرورة لاثارة نقاش حول ذلك الان ، بعد أن اعترفت كلاميا وعمليا بأخطائي في الناحية التنظيمية . والقارىء الخالي من الغرض سوف يجد تفسيرا أكثر بساطة ومباشرة من ذلك التعبير المذكور ضمن شروط ذلك الحين . فقد كان العمال الانترايونيون ما زالوا يحتفظون بحذر شديد ازاء السياسة التنظيمية للجنة بطرسبورغ . وهذا ما أجبت به على ذلك بمقالي : « من العقلية الحلقية التي هي ارث من الماضي ، لا زالت موجودة ، ولكن لكي تضعف يجب على الانترايونيين أن ينهوا وجودهم المستقل بمعزل عن الاخرين » .

ثم ان « عرضي » الذي كان جدليا محضا في المؤتمر الاول لمجالس السوفيات والداعي الى تأليف حكومة تتركب من « دزينة » من أمثال بيتشي خانوف Piechekanov قد فسر ، واظن من سوخانوف Soukkanov على انه من جهة اظهار لميل شخصي نحو بييتشي خانوف ، ومن جهة اخرى تكتيك مختلف عن تكتيك لينين . ولعمري ان هذا لتفسير عبثي Aburde . ذلك ان حزبنا عندما طالب

بأن تأخذ مجالس السوفيات التي كان يقودها المناشفة والاشتراكيون الثوريون ، السلطة « طلب » في الوقت نفسه أن تتكون حكومة من أشخاص أمثال بييتشي خانوف ، ومع ذلك فليس هناك في نهاية التحليل من فرق جوهري بين هذا الاخير وتشيرنوف ودان . فكلهم صالح لان يسهل نقل السلطة من البرجوازية الى البروليتاريا . وربما يعرف بييتشي خانوف الاخطاء أكثر ويعطي انطباعا بأنه رجل عملي أكثر من سيريتللي أو تشيرنوف . أن « دزينة » من أمثال بييتشي خانوف تعني حكومة تتكون من ممثلين عاديين للديمقراطية البرجوازية الصغيرة محل حكومة ائتلافية . وعندما رفعت جماهير بطرسبورغ التي كان يقودها حزبنا شعار « تسقط حكومة الوزراء العشرة الراسماليين ! » طلبت في الوقت نفسه أن يحتل المناشفة والنارودنيكيون مراكزهم ، « انزلوا الكاديت وخذوا السلطة ايها السادة الديمقراطيون البرجوازيون ، ضعوا في الحكومة اثني عشر بييتشي خانوفا ونحن نعدكم اننا سنخرجكم من مراكزكم بأكثر ما يمكن من « السلام » عندما تدق الساعة ، وهي لن تتأخر عن الدق » . وهكذا لا يمكن الكلام هنا عن وجود خط سياسي خاص ، اذ انه خط رسمه لينين أكثر من مرة .



هذا الكتاب

يعتبر ليون تروتسكي اعظم مؤرخي ثورة اكتوبر لا لأنه أحد قادتها المرموقين وحسب ، بل لأنه استطاع أن يسجل بناء الأحداث فيها بدقة ويربط بين خيوطها ويرصد مواقف مختلف الشخصيات من هذه الأحداث .

ولقد كان صدور كتاب تروتسكي عن الثورة الروسية موضع نقاش سياسي حاد وواسع النطاق لا داخل الاتحاد السوفياتي وحسب بل على النطاق العالمي ايضاً نظراً لما أثاره من موضوعات وقضايا .

إنه كتاب رجل هام عن حدث خطير شارك هو في صنعه وهو جدير بالقراءة والتأمل .

084
82d
0361070

السعر ليرتان لبنانيتان
او ما يعادلها

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت